
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
نمور الثلوج
133
د. نبيل فاروق
رياحين
www.liilas.com/vb3
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

133

نمور الثلوج

- ما القرار المصيرى، الذى اتخذه (أدهم)، بعد مذبحة (المافيا) الدموية؟!
- ما مصير فريق (نور) الجديد، بعد أن انكشف أمره، وسط الثلوج الروسية؟!
- ترى من يربح المعركة هذه المرة؟ ومن سيحمل فى النهاية لقب (نمور الثلوج)؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل.. (رجل المستحيل)..



العدد القادم

الأبطال

رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - القـوة..

التقطت (جيهان) نفسًا عميقًا ، وهى تستند إلى ذراع دونا (كارولينا) ، وهما تغادران المستشفى الفاخر ، الذى تملكه هذه الأخيرة ، فى قلب (نيويورك) ، وقالت وهى تحاول رسم ابتسامة على شفتيها :

- لايمكنك أن تتصورى كم تسعدنى مغادرة مستشفاك هذا يا دونا ، على الرغم من العناية الفائقة ، التى أحطتنا جميعًا بها ، خلال فترة علاجنا الطويلة .

ابتسمت زعيمة (المافيا) الإيطالية ، وهى تلوّح بيدها وقفازها الأنيق الفاخر ، قائلة :

- كنت أتمنّى أن أجيبك بعبارة أنيقة مهذّبة

يا عزيزتى ، ولكن الواقع لكننى لم أفعل كل هذا من أجلكم ، ولكن من أجله هو .

وغمزت بعينها ، مضيفة بضحكة عالية خبيثة :

ـ من أجل (أدهم) .

هزّت (نادية) كتفيها ، وهى تجلس على مقعد متحرك ، يدفعه أحد رجال (المافيا) ، ومطّت شفتيها ، قائلة :

ـ محظوظ هو العميد (أدهم صبرى) هذا .. الكل يفعل الكثير من أجله .

أشارت (كارولينا) بسبّابتها ، قائلة :

ـ وضده أيضًا .. لا تنسى هذا الجزء المهم .

غمغمت (نادية) :

ـ بالتأكيد .

حاول (بترو) أن ينهض ، من فوق النقالة

الكبيرة ، التى يتمّ نقلها إلى سيارة الإسعاف المجهّزة الكبيرة ، وهو يغمغم :

ـ سنيور (أميجو) يستحق كل التقدير .

أجابه أحد رجال المخابرات المصرية ، الذين حضروا من (القاهرة) خصيصًا ، لتأمين عملية عودتهم إلى الوطن :

ـ بكل تأكيد .

تساءلت (جيهان) فى لهفة ، لم تحاول إخفاءها :

ـ هل سنجده هناك ، عندما نعود إلى الوطن ؟!

أومأ الرجل برأسه ، مجيبًا :

ـ على الأرجح ؛ لأن رئيس القسم الطبى حذّره من بذل أى جهد زائد ، قبل أن يتعافى تمامًا .

غمغمت (جيهان) بدهشة :

ـ حقًا ؟!

أما (نادية) ، فهزت رأسها ، قائلة :

ـ عجبًا ! لا يمكنني أن أتصوَّره قط مريضًا ، يجلس دون عمل ..

قالتها ؛ لأنها لم تدر أن (أدهم صبري) ، وإن لم يغادر (القاهرة) ، فهو يدير عملية بالغة الأهمية والخطورة ، في قلب (موسكو) ..

عملية للقضاء على (إيفان إيفانوفيتش) ، زعيم (المافيا) الروسية ، وتحطيم تلك المنظمة الإجرامية الجديدة ، على نحو يسحق قوتها تمامًا ..

وإلى الأبد ..

وهذا لأن (المافيا) الروسية أصبحت المورِّد الرئيسي للأسلحة ، لكل المنظمات الإرهابية في العالم ، ومن بينها منظمة رهيبة جديدة ، تسعى للقيام بعملية تخريبية بشعة ، في قلب (مصر) ..

ولأن العملية كبيرة وخطيرة ، وتحتاج إلى عقلية التحرية مدرَّبة كعقليته ، أسندت المخابرات العامة المهمة كلها ، بموافقة السيد رئيس الجمهورية إلى (أدهم) .

(أدهم صبري) ..

ولأنه مصاب ، ويحتاج إلى راحة جسدية طويلة ، قرَّر (أدهم) اختيار فريق جديد ، للقيام بالمهمة الانتحارية ، خارج الحدود ..

ووقع اختياره الدقيق على ثلاثة ..

النقيب (علاء فريد) ، ضابط الصاعقة المتميِّز ..

الملازم أوَّل (ريهام صادق) ، خبيرة المتفجرات ..

والمهندس (شريف نجيب) ، خبير الكمبيوتر والإلكترونيات ..

فريق جديد ، يواكب متطلبات العصر ، ومخاطر التكنولوجيا الحديثة ..

فريق يستحق بجدارة لقباً جديداً ..

لقب (فريق المستحيل) ..

وبدأت العملية ..

لم تبدأ في (موسكو) ، وإنما في (أمريكا الجنوبية) ، عندما استخدم (شريف) مهاراته الفائقة ، لاختراق حسابات (إيفانوفيتش) ، في أكثر بنوك العالم قوة ، والاستيلاء على بضعة ملايين من الدولارات ..

وجن جنون زعيم (المافيا) الروسية ..

وأطلق رجاله خلف فريق (أدهم) ..

وكانت خطة بارعة وعبقرية بحق ..

أن يسعى (إيفانوفيتش) خلف الفريق ؛ لأن يسعى الفريق إليه ..

ولقد كانت المطاردة شاقة وعنيفة ..

ولكن أفراد الفريق وقعوا أخيراً في قبضة الأب الروحي الروسي ..

ولأن (إيفانوفيتش) رجل مخابرات سوفيتية سابق ، وبمعاونة مجموعة من المحترفين القساة ، على رأسهم مساعدته الفاتنة الباردة (ميرا بتروفنا) ، فلم يكن من السهل أبداً أن يأمن جانب أفراد الفريق ، على الرغم من أن عقليته التجارية قد رأت ضرورة الإفادة من قدراتهم ومهاراتهم ، بدلاً من القضاء عليهم ..

وكان من المحتم أن يحيطهم بعدد من الاختبارات الذكية ..

والعنيفة ..

وفي الوقت ذاته ، كان (أدهم صبري) يواجه مفاجأة مذهلة في (القاهرة) ..

(سونيا جراهام) ..

رآها بعينيه ، في قلب (القاهرة) ، قبل أن تختفي هناك تماماً ..

ثم راحت تجري اتصالاتها به ، عبر أحد مواقف الأقمار الصناعية ..

كل هذا ، وتلك المنظمة الجديدة تواصل خطتها ، لإرسال شحنة رهيبة من الأسلحة الحديثة ، مع ثلاثة من أخطر زعماء الإرهاب العالميين ، للقيام بتلك العملية المدمرة في (مصر) ..

وراح (أدهم) يتابع عملية (موسكو) ، ويبحث عن (سونيا) ، ويدرس كل الاحتمالات ، و ...

ووسط كل هذا ، وبعد أن اقتنع (إيفانوفيتش) بأفراد الفريق ، واتخذ قراره بضمهم إلى منظمته ، والاستفادة من براعتهم .. بل وبعد أن منحهم بطاقات العضوية ، التي تحمل شعاره الذهبي ، وأسماء روسية جديدة ، حدثت المفاجأة ..

فجأة ، وصل إلى (موسكو) عميل منظمة (الدفاع) الروسية في (مصر) والشرق الأوسط ..

الدكتور (رأفت كاظم) .. الأستاذ الجامعي ، و ..

وجار (علاء) في مسكنه ..

ودون أية توقعات مسبقة ، حدثت المواجهة ..

وانكشف أمر الفريق ..

وكانت مفاجأة مذهلة ..

ووحشية ..

إلى أقصى حد ..

ولقد علم (أدهم) بالأمر في (القاهرة) ..

وربما قبل أن يعلم به (إيفانوفيتش) نفسه ..

(إيفانوفيتش) ، الذي هوى عليه الأمر كألف ألف صاعقة ، وفجّر في أعماقه ثورة هائلة ، وغضباً كحمم البراكين ..

وكان هذا يعني أن فريق (أدهم) سيواجه جحيماً جديداً ، وسط الثلوج الروسية ..

جحيم دام ..

وقاتل ..(*)

ولأن العملية سرية للغاية ، فلم يكن أحد من رجال المخابرات في (نيويورك) يعلم شيئاً عنها ، مما جعل أحدهم يقول في هدوء :

- حتى رجل المستحيل يحتاج إلى قليل من الهدوء والراحة .. إنه أيضاً مجرَّد بشر .

هزّت دونا (كارولينا) كتفيها ، وقالت بنفس الابتسامة الخبيثة :

- ولكنه ليس بشراً عادياً .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأول والثاني ، (تحدود) ، و (فريق المستحيل) .. المغامرتين رقمي (١٣٠) و (١٣١) .

لطلتها ، وأطلقت ضحكة عابثة عالية ، فابتسم أحد رجال المخابرات المصرية الثلاثة ، وهو يقول :

- من الواضح أنك شديدة الإعجاب به يا سيدتي .

أطلقت دونا ضحكة عابثة أخرى ، وهي تقول :

- لست وحدي في هذا يا رجل .. إنني ..

بترت عبارتها بغتة ، وانعقد حاجباها في شدة ، وهي تتطلع إلى سيارة الإسعاف التي وضع رجالها فيها (نادية) و (بترو) ، ولحق بهما اثنان من رجال المخابرات العامة ، في حين كان ثالث يعاون (جيهان) ، ثم هتفت بعصبية مباغتة :

- أين يذهب السائق ؟!

استدار رجالها في حركة حادة إلى سائق سيارة الإسعاف ، الذي غادر السيارة بالفعل ، وأخذ يبتعد في خطوات واسعة ، وهتف به أحدهم في صرامة :

- أنت .. إلى أين تذهب ؟!

استدار إليه السائق ، بوجه شاحب ممتقع ، ثم زاد من سرعته ، حتى بدت أقرب إلى العدو ، فانتزع رجل المخابرات المصرية الثالث مسدسه فى سرعة ، وهو يصرخ بالآخرين :

- يا إلهى ! غادروا سيارة الإسعاف فورًا .. أسرعوا بالله عليكم ، قبل أن ..

ولم يكن قد أتم عبارته بالفعل ، عندما حدث ما يخشاه ..

ودوى الانفجار ..

انفجار قوى عنيف ، نسف سيارة الإسعاف نسفًا ، وأحالها فى لحظة واحدة إلى كتلة من اللهب ، وأطاح بكل من حولها ، وأسقطهم أرضًا ، مع سيل من الشظايا الملتهبة ، تتناثر فى كل صوب ..

وقبل حتى أن يتلاشى دوى الانفجار ، اندفعت سيارة سوداء كبيرة إلى المكان ، وتوقفت وإطاراتها تطلق صريرًا مخيفًا ..

ثم وثب منها أربعة رجال ، يحملون المدافع الآلية ..

وانطلقت نيران مدافعهم كالمطر ..

وكان من الواضح أنها عملية إبادة ..

إبادة شاملة ..

* * *

راجع (أدهم) ملف الدكتور (رأفت) مرتين ، فى مبنى المخابرات العامة المصرية ، قبل أن يهز رأسه ، قائلاً فى توتر :

- يا للخسارة ! أستاذ جامعى مرموق ، يعمل لحساب منظمة إجرامية حقيرة كهذه !

قال زميله في حيرة :

ـ ولكن كيف ؟! ملف الرجل يؤكد أننا قد تحرينا أمره ، منذ بضع سنوات ، وتأكدنا من عدم انتمائه إلى أية جهات أجنبية .

تنهد (أدهم) ، قائلاً :

ـ الرجل كان عميلاً نائماً كامناً ، من عملاء المخابرات السوفيتية على الأرجح ، ولم يكن له أي نشاط ، منذ سقوط الاتحاد السوفيتي ، وإنهاء خدمة معظم رجال الـ (كى . جى . بى) ، لينتقلوا للعمل في جهاز المخابرات الروسي ، بنسبة ستين في المائة . أما الأربعون في المائة المتبقون ، فقد كان عليهم البحث عن مهن أخرى ، لا تحتاج إلى عشرة في المائة من إمكانياتهم ، مما دفع أمثال (إيفانوفيتش) إلى الاتجاه إلى نشاط إجرامي ، يفجرون فيه طاقاتهم الزائدة ، وربما كان

(إيفانوفيتش) يتعامل مع الدكتور (رأفت) ، في فترة نشاطه ، أو يتابعه كحالة كامنة تحت السيطرة ، وعندما احتاج إلى عميل في الشرق الأوسط ، وجد فيه بغيته ، فأيقظه ، وهدده بما يحمله من أدلة ، على عمله لحساب المخابرات السوفيتية يوماً ، وأجبره على مواصلة العمل لحسابه هذه المرة .

هتف زميله في دهشة مستنكرة :

ـ ولكن لماذا ؟! الرجل لم يكن بحاجة إلى هذا قطعيًا :

تراجع (أدهم) في مقعده ، وألقى الملف على المكتب ، قائلاً :

ـ السوفيت كان لهم أسلوبهم يا رجل ، وخاصة في تجنيد من على أرضهم .

سأله الزميل في اهتمام :

- إنه لم يذهب إلى هناك ، طبقاً لملفه ، إلا فى أثناء دراسة الدكتوراه ، التى حصل عليها من (موسكو) ، فى أواخر الستينات .

مط (أدهم) شفتيه ، قائلاً :

- هذه كانت أفضل لعبة لهم ، ففى ذلك الحين ، كانت عقوبة تغيير الروبلات الروسية ، عبر السوق السوداء ، هى الإعدام ، وكانت رواتب ومخصصات طلاب البعثات الدراسية تكفى حياتهم بصعوبة ، إذا ما تم تحويلها بالسعر الرسمى ، ولكنها تتضاعف مرتين على الأقل ، بأسعار السوق السوداء ، وفى المعتاد ، كان أحد أصدقاء طالب البعثة الدراسية ، من أبناء الاتحاد السوفيتى ، هو الذى يتولى عملية تغيير العملات فى السوق السوداء لحسابه ، وفى كل مرة كانت العملية آمنة تماماً ، وتحقق ربحاً كبيراً ، ثم تأتى المرة ، التى يعتذر فيها ذلك الصديق ، الذى يعمل فى المخابرات السوفيتية ، عن إتمام

العملية بنفسه ، ويطلب من طالب البعثة الدراسية أن يقوم بالعمل ، مؤكداً أنه إجراء روتينى محروس ، يتم دوماً بلا مشكلات ، وعندما يذهب الطالب للقيام بالمهمة ، تطبق عليه الشرطة السوفيتية ، وتلقى القبض عليه ، ثم تلقيه فى السجن ليومين أو ثلاثة .

اعتدل الزميل ، متسائلاً فى اهتمام :

- ثم ماذا ؟!

أجابه (أدهم) ، فى شىء من التوتر :

- لم نصل بعد إلى مرحلة (ثم) هذه ، فالسجن الذى يوضع فيه ، كان قطعة من الجحيم ، لايمكن أن يحتملها الشيطان ذاته ، فهو عبارة عن زنزانة ضيقة ، يوضع فيها عشرون أو ثلاثون مسجوناً ، إنهم يجلسون على مقاعد خشبية خشنة ، تلتصق بالجدران الثلاثة للزنزانة ، ويتبقى الجدار الرابع ، الذى يحوى بابها المعدنى السميك ، الذى تتوسطه

نافذة مربعة ذات قضبان ، وفى منتصف الزنزانة بالضبط ، حفرة صغيرة ، هى بمثابة دورة المياه ، لكل من فى الزنزانة ، والذين غير مصرح لهم بالنوم لحظة واحدة ، أو برفع أعينهم عن تلك النافذة الصغيرة ، التى يفتحها أحد الحراس فجأة ، بنظام عشوائى تمامًا ، فإذا وجد أحدهم نائمًا ، أو لاينظر إلى النافذة مباشرة ، يتم إخراجه من الزنزانة ، وجلده بالسياط ، ثم إعادته إليها مرة أخرى .

اتسعت عينا الرجل ، وهو يهتف :

- يا إلهى !

تابع (أدهم) دون توقف :

- بعد ثلاثة أيام فى الجحيم ، يكون أى مخلوق على استعداد للقيام بأى شىء فى الوجود ، للخروج منه ، لذا فالسوفيت كانوا يطلبون منه العمل

لحسابهم ، للتجسُّس على الأمريكيين وباقى الأجانب فى (القاهرة) ، وكان هو يوافق فورًا ، باعتبار أنه سينقل معلومات عن أجانب ، وليس عن (مصر) أو المصريين ، ولكنه لا يدرك أنه ما إن يوقِّع بعض الأوراق ، ويتسلم ولو روبلاً واحدًا ، يصبح قد تورَّط بالفعل فى العمل لحساب جهة أجنبية ، أيًا كانت الأهداف ، ولم يعد من السهل أن يتراجع بعدها ، مما يورِّطه أكثر وأكثر ، حتى يتحوَّل إلى جاسوس فعلى ، وبعدها يوقف السوفيت نشاطه تمامًا ، ويحولونه إلى مانطلق عليه اسم الجاسوس النائم أو الكامن ، والذى لايقوم بأى عمل ، حتى يصبح ملفه نظيفًا ، ولا تحيط به أية شبهات ، إلى أن تحين لحظة الاستفادة منه ، أو يتبوأ ، بحكم نظافة ماضيه ، منصبًا مهمًا وخطيرًا(*) .

(*) أسلوب حقيقى ، اشتهرت المخابرات السوفيتية (كى . جى . بى) باتباعه ، حتى وقت قريب ، عندما تغيرت سياسة (روسيا) ، ولم تعد عملية تجنيد جاسوس كامن مدرجة فى السياسة الجديدة ، علنيًا على الأقل .

غمغم الرجل :

ـ أسلوب حقير للغاية .

قال (أدهم) فى توتر :

ـ وفعال للغاية أيضًا ، حتى إنه قد نجح فى خداعنا ، فلم نتصورْ ما حدث ، وما وضع فريقى فى مأزق رهيب ، وسط ثلوج (روسيا) .

سأله زميله بقلق بالغ :

ـ ما الذى يمكن أن يفعله بهم (إيفانوفيتش) فى رأيك ، عندما يكشف أمرهم ؟!

هزّ (أدهم) رأسه ، مجيبًا بكل القلق :

ـ أى شىء .

ثم عضّ شفته السفلى ، مضيفًا :

ـ الذى يؤلمنى ، ويثير حنقى وسخطى بشدة ، هو أننا عاجزون تمامًا عن التدخل لحمايتهم الآن ،

فكل ما لدينا هو بعض المراقبين ، على مسافة كبيرة من قصر (إيفانوفيتش) ، ولايمكنهم التدخل ، أو معرفة ما يحدث داخل القصر .

وانطلقت من صدره زفرة ملتهبة ،وهو يضيف :

ـ يا للمساكين !

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقط سماعته فى حركة سريعة ، قائلاً :

ـ من المتحدث ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، عندما سمع صوت (سونيا) الساخر ، وهى تقول :

ـ عجبًا ! هل تعمل طوال الوقت ؟!

أشار (أدهم) بيده لزميله إشارة خاصة ، ليبدأ عملية تعقبُ المحادثة فورًا ، وهو يقول فى صرامة :

- ماذا تريدين بالضبط يا (سونيا) ؟!

أجابته ساخرة :

- ربما سماع صوتك فحسب يا زوجى العزيز .. سابقًا .

مال إلى الأمام ، وهو يقول بسخرية مماثلة :

- حقًا ؟! تصورْت لحظة أنها مجردُ محاولة لإرباكى يا زوجتى العزيزة سابقًا .

وهلة الصمت التى مضت ، بين سماعها عبارته ، وإجابتها ، كانت كافية ليدرك أنه على حق فى شكوكه ، وهى تقول :

- إرباكك ؟! وجودى فى حياتك وحده يكفى لإرباكها يا عزيزى (أدهم) ، خاصة وأننى أم ابنك الوحيد ، الذى تجهل حتى أين هو ، فى هذه اللحظة ، وأين ..

قاطعها ساخرًا :

- محاولة سخية يا (سونيا) .. دعينا لا نتورطْ مرة أخرى فى تلك التأثيرات العاطفية ، وأخبرينى.. ما الذى يدفعك فجأة ، إلى استخدام هاتفك المتصل بالأقمار الصناعية ، لدفعى إلى تصورَ وجودك فى (مصر) ؟!

قالت فى صرامة :

- تصورَ ؟! ألم ترنى بنفسك ، عند الأهرامات ، التى بنيناها نحن ، أيام اضطهادكم لنا فى (مصر)(*) ؟!

بدا عليه الاستياء ، على الرغم من تلك السخرية فى نبرته ، وهو يقول :

- محاولة أخرى سخيفة ، للدخول فى مناقشات جانبية بلا طائل يا (سونيا) .. كلانا يعلم أن لعبة

(*) فى الآونة الأخيرة ، وكعادتهم فى تزوير التاريخ ، وإعادة كتابته لصالحهم ، ادعى الإسرائيليون أنهم بناة الأهرامات الحقيقيون ، وأنهم يستحقون أن ينسبوها إلى أنفسهم ، حتى ولو كانت داخل حدود (مصر) .

الاضطهاد هذه قديمة ، فقدت تأثيرها مع الزمن ، أما الأهرامات فقد بناها مصريون ، أيًا كانت نياتهم .. هل تسمعين يا (سونيا) ؟! المصريون وحدهم بنوا الأهرامات .

هتفت بحدة :

ـ نحن حملنا أحجارها على أكتافنا ، وأنتم تجلدوننا بالسياط .

قال ساخرًا :

ـ عظيم .. تعترفون إذن أنكم كنتم مجردّ خدم وعبيد ، تبنون أهرامات عظيمة ، ابتكرتها وأشرفت على تنفيذها العقول المصرية الجبارة ، التى وضعت لها تصميمات ، حار فيها العلم والتاريخ .. لو أن هذا ماتقصدينه ،فيمكننى قبوله على هذه الصورة .

كان من الواضح أن عبارته قد أحنقتها بشدة ، فقد ذهبت سخريتها ، وحلّ محلّها غضب هادر ، وهى تقول :

ـ فليكن أيها المتحذلق ، فلنترك أمر السادة والعبيد هذا للزمن ، ولنتحدث نحن عن الحاضر .

اعتدل فى مقعده ، قائلاً :

ـ عظيم .. هل ستعترفين بخدعتك السخيفة ، وبأنك قد استأجرت ممثلة ماهرة لتلعب دورك ، عند سفح الأهرامات ؟!

قالت فى حدة :

ـ كلاّ أيها المغرور .. لقد اتصلت بك فقط ، لأبلغك خبرًا طازجًا ، قبل أن يصلك بصفة رسمية .

ثم قسا صوتها ، وحمل رنة تشفّ واضحة ، وهى تضيف :

ـ رجال (المافيا) الروسية حصدوا صديقتك

دونا (كارولينا) ، وكل نسائك اللاتى كن يعالجن فى مستشفاها ، مع ذلك الزنجى الضخم ، ورجال مخابراتكم أيضًا ، منذ لحظات قليلة .

قفز من مكتبه ، صائحًا كالمصعوق :

ـ ماذا ؟!

انطلقت من حنجرتها ضحكة شامتة عابثة طويلة ، وكأنما راق لها انزعاجه ، وهى تقول :

ـ ليتك ترى حمّام الدم ، الذى غرق فيه الجميع .. إنه مشهد لا ينبغى أن يفوتك أبدًا .

قالتها ، وواصلت ضحكتها المستفزة ، على نحو جعله ينهى المكالمة فى عنف ، وبركان من الغضب يتفجّر فى كيانه ..

بركان هادر .

* * *

٢ ـ بركان الغضب ..

أقسمت (ميرا) ، فى أعمق أعماق نفسها ، أنها لم تر زعيمها (إيفان إيفانوفيتش) ، بكل هذا الغضب الهادر ، فى حياتها كلها ، كما رأته ، وهو يواجه أفراد الفريق الثلاثة ، وقد احمرّت عيناه ، واحتقن وجهه ، وبدا بشاربه ولحيته ، وشعره الطويل ، أشبه بشيطان حقيقى ، وهو يقول :

ـ إذن فأنتم مجرّد خدعة .. خدعة متقنة ، صنعتها المخابرات المصرية ، لاختراق منظمتى .. يا للسخافة ! كان ينبغى أن تعلموا أن ما تخططون له مستحيل ! لا يمكنكم خداع (المافيا) الروسية أبدًا ، عندما يكون زعيمها هو (إيفان إيفانوفيتش) .

قالت (ريهام) ، فى صرامة ، تحمل رنة ساخرة :



وقبل حتى أن يرتطم جسدها بالأرض ، كان (علاء) ينقضّ على (إيفانوفيتش) كالليث ..

ـ عجبًا ! ما زلت أحمل فى جيبى بطاقة أنيقة ، تحمل شعارًا ذهبيًا ، لقلب تتوسّطه زهرة الأوراق ، و ...

اندفع (إيفانوفيتش) نحوها فجأة ، وهوى على وجهها بصفعة قوية ، صارخًا :

ـ اخرسى .

كانت الصفعة قوية مباغتة ، حتى إنها ألقتها أرضًا فى عنف ، و ..

وقبل حتى أن يرتطم جسدها بالأرض ، كان (علاء) ينقضّ على (إيفانوفيتش) كالليث ..

انقضاضة عنيفة مباغتة ، فاجأت الزعيم الروسى نفسه ، عندما هوت قبضة (علاء) على فكه كالقنبلة ، ثم ارتفعت ركبته لتغوص فى معدة (إيفانوفيتش) ..

ولكن الروسى كان قويًا بارعًا بالفعل ..

فعلى الرغم من عنف الضربة واللكمة ، تراجع الرجل بحركة سريعة ،ومال جانبًا فى خفة ، متفاديًا لكمة أخرى من (علاء) ،ثم اندفع فى مرونة ، ولكم (علاء) لكمة قوية ، فى نفس اللحظة التى انقضّ فيها رجال (المافيا) الروسية على (علاء) ، وهوى أحدهم على مؤخرة رأسه بضربة من كعب مسدسه ، ألقته أرضًا ، وغيبوبة عنيفة تهاجم وعيه فى شراسة ..

وبسرعة ، ونهضت (ريهام) ، هاتفة فى ارتياع :

- يا إلهى ! (علاء) .. أأنت بخير ؟!

صاح بها (إيفانوفيتش) ، بصرامة وحشية :

- إياك أن تلمسيه .

ثم رفع عينيه إلى رجاله ، صائحًا :

- لو تجاوز أحدهم موقفه لحظة واحدة ، انسفوا رأسه فورًا .

قال الدكتور (رأفت) ، فى توتر بالغ :

- سيّد (إيفانوفيتش) .. أرجوك ..

التفت إليه الروسى فى وحشية ، صارخًا :

- اخرس .

ونظر إليه (شريف) فى ازدراء ، قائلاً :

- هذا أقل ما يستحقه الخونة أمثالك .

خفض (رأفت) عينيه فى مرارة ، واحتقن وجهه على نحو ملحوظ ، فى حين مال (إيفانوفيتش) نحو (شريف) ، قائلاً فى شراسة :

- لو نطقت حرفًا واحدًا ، سآمرهم بقطع لسانك ، يا خبير الكمبيوتر الزائف .

هزّ (شريف) رأسه فى حزم ، قائلاً :

- ربما خدعتك بشخصية زائفة ، ولكن خبرتى فى الكمبيوتر حقيقية تمامًا ، وإلا ما نجحت فى اقتحام واختراق حساباتك فى بنك (انجلترا) بالفعل .

انتزعت (ميرا) خنجرها من غمد حول فخذها ، وقالت فى صرامة باردة :

ـ لقد نطق ، ويستحق قطع لسانه و ..

التفت إليها (إيفانوفيتش) بغضب مخيف ، فبترت عبارتها دفعة واحدة ، ولوّحت بالخنجر ، متمتمة :

ـ طبقًا لأوامرك أيها الزعيم .

تضاعف الغضب المطلّ من عينيه وملامحه ، فأطبقت شفتيها ، وبدا لها أن أفضل ما تفعله ، مع غضبه هذا ، هو أن تبتلع لسانها ، وتلوذ بالصمت التام ، حتى يمرّ الموقف ..

أما فى أعماقها ، فقد كانت تتمنى أن يطلق يدها فى الأمر ، حتى يمكنها أن تذبح هؤلاء الثلاثة بلا رحمة ، بعد أن تقطع ألسنتهم ، التى تبغضها منذ البداية ..

وفى وحشية رهيبة ، أدار (إيفانوفيتش) عينيه مرة أخرى إلى أبطالنا الثلاثة ، فى نفس اللحظة التى نهض فيها (علاء) ، متحسسًا مؤخرة عنقه فى ألم ، فشدّ (إيفانوفيتش) قامته ، وهو يسألهم فى شراسة :

ـ ما الذى تعرفه المخابرات المصرية عنى بالضبط ؟! ما الذى يدعوها إلى اختيار ثلاثة من الحمقى مثلكم ، لاختراق منظمتى ؟!

أطلّ إصرار شديد فى عيونهم ، وهم يلوذون بالصمت المطبق ، فانعقد حاجباه بوحشية أكثر ، وهو يقول :

ـ آه .. تمامًا مثل كل الأغبياء .. يتصوّرون أن من الشرف أن يحموا أمن بلادهم ، والجهات التى يعملون من أجلها .

قال (علاء) فى بطء :

- ألا ينطبق هذا على الأغبياء ، الذين يعملون لحسابك ؟!

صاح به (إيفانوفيتش) فى غضب هادر :

- هل تتصور أننى سأحتمل سخافتك هذه طويلاً ؟!

هز (علاء) كتفيه ، قائلاً :

- وهل تتصور أننا سنتحمل سخافتك هذه لمـ ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انتزع (إيفانوفيتش) مسدسه بغتة ، و ...

وأطلق النار عليه ..

وأمام أعين الجميع ، اخترقت الرصاصة كتف (علاء) الأيسر ، وواصلت طريقها لترتطم بالجدار ، مع دوى شديد ، انتفض معه جسد الدكتور (رأفت) ، الذى صرخ فى ارتياع :

- رباه ! ماذا فعلت يا (إيفانوفيتش) ؟! ماذا فعلت ؟!

أما (ريهام) ، فصرخت غاضبة :

- أيها الوغد .

ولم ينبس (شريف) ببنت شفة ، وهو يندفع نحو (علاء) ..

ولكن أحد الرجال جذبه من عنقه فى شراسة ، هاتفًا بعبارة روسية خشنة ..

وفى صرامة شديدة ، أعاد (إيفانوفيتش) مسدسه إلى غمده ، قائلاً :

- فى المرة القادمة ، ستخترق الرصاصة جمجمتك فورًا ، ولن تكون هناك فرصة أخرى .

هتف (شريف) فى عصبية :

- ولماذا لا تفعل هذا الآن مباشرة ؟!

أجابه بصرامة أكثر :

- لأننى لم أحصل على ما أريد من معلومات بعد .

قالت (ريهام) فى حدة :

- ولن تحصل عليها أبدًا .

أضاف (علاء) :

- إننا نفضّل الموت ، على منحك جوابًا واحدًا .

ازداد احتقان وجه (إيفانوفيتش) ، واحمرار عينيه ، وهو يقول بغضب صارم شرس :

- أحيانًا يكون الموت هو أفضل ، ما يمكن أن تتمناه .

ثم استدار إلى (ميرا) ، قائلاً بلهجة آمرة :

- أرسليهم مرة أخرى إلى القبو ، وامنحيهم ساعة واحدة ، لحسم أمرهم ، وبعدها ، إما أن يتكلموا ، أو نبتر أحد أطرافهم كل نصف ساعة حتى تنحل عقدة ألسنتهم ، وخلال تلك الفترة ، فلتتسلَ بانتزاع أظفارهم ، وسلخ أجزاء من جلدهم .

واستدار إلى (شريف) ، وهو يتابع بوحشية :

- وليتحدثوا بعدها عن الموت .

تألقت عينا (ميرا) ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة سادية ، وهى تلوّح بخنجرها ، قائلة :

- على الرحب والسعة أيها الزعيم .

سار (علاء) و(شريف) و(ريهام) خارج الحجرة ، ورجال (المافيا) الروسية يقودونهم بمسدساتهم القوية ، فقال (علاء) فى صرامة ، وهو يمسك كتفه المصابة :

- لا تطمئن كثيرًا يا (إيفانوفيتش) .. ربما نعود إليك مرة أخرى .

هتف (إيفانوفيتش) فى حدة :

- هذا يخفض مهلتكم إلى نصف الساعة فحسب .

ثم صاح بـ (ميرا) :

- إذا أصروا على الصمت ، افعلى بهم ما يحلو لك .

هتفت (ميرا) :

- بكل سرور .

غادر الكل الحجرة ، واحتقن وجه (رأفت) ، وهو يقول فى مرارة وضراعة :

- أرجوك يا سيد (إيفانوفيتش) .. طوال فترة عملى معك ، لم أتسبب فى إيذاء أحد لاتجعلنى أكون السبب فيما سيصيبهم الآن .

استدار إليه الروسى فى حدة ، قائلاً :

- لم تتسبب فى إيذاء أحد ؟! هل تحاول تهدئة ضميرك بهذه السخافات أم ماذا ؟! لمن كانت تذهب المعلومات التى تُرسلها إذن ؟! ألم تكن السبب فى مصرع العشرات ، الذين قتلتهم أسلحتنا ، فى أيدى المتطرفين والإرهابيين ، فى كل الدول العربية ؟! ألم تتلوث يدك بدماء ضحايا رصاصتنا وقنابلنا ، فى كل منطقة تعاقدت معنا على صفقات سلاح ، بناء على المعلومات التى أرسلتها ؟!

اتسعت عينا الرجل فى ارتياع شديد ، وتراجع

كالمصعوق ، وكأنما يدرك كل هذه البديهيات لأول مرة ، وهو يقول :

- يا إلهى ! يا إلهى !

دفعه (إيفانوفيتش) بقبضته فى كتفه بعنف ، هاتفاً :

- اصمت وتماسك يا رجل .. إنها ليست أول مرة تفعل فيها هذا ، وليست أول مرة تريق فيها الدماء .

ثم جذبه من سترته فى عنف ، واشتعلت عيناه فى وجهه مباشرة ، وهو يضيف فى غضب وحشى :

- ألم تتصور مصيرك ، لو أنهم خرجوا من هنا أحياء ؟! هل تتوقع أن يعفو عنك رجل الصاعقة ، لمجرد أنك جاره القديم ، بعد أن أدرك حقيقتك ، وبعد أن أوقعته فى هذا المأزق ؟!

امتقع وجه (رأفت) ، وهو يغمغم فى مرارة بائسة :

- لقد انتهى أمرى .. أنا أعلم هذا .

صاح به (إيفانوفيتش) ، وهو يدفعه مرة أخرى بعيدًا :

- قلت لك : اصمت وتماسك .

ثم اتجه إلى مقعده الضخم واستقر فوقه ، وهو يواصل فى صرامة ، لم يزل غضبها بعد :

- لا بد أن نضع خطة بديلة ، لعملية (القاهرة) .

وانعقد حاجباه فى شدة ، مضيفًا :

- وهذا يحتاج إلى معلومات جديدة ، وتركيز كبير .

قالها ، وحاول الاسترخاء فى مقعده ، محاولاً

البحث عن خطة جديدة ، لتنفيذ ما ينتويه فى (القاهرة) ..

ولكن هيهات ..

الغضب المشتعل فى كيانه ، بسبب ما فعله أبطالنا الثلاثة ، كان يلتهم مشاعره كلها ..

لذا ، فقد أقسم فى أعماقه على أن يكون انتقامه منهم عنيفًا ..

قاسيًا ..

ووحشيًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

« المعلومات صحيحة إلى حد كبير للأسف ، يا سيادة العميد .. »

نطق رجل المخابرات بالعبارة ، وهو يتناول

(أدهم) ذلك التقرير العاجل، الذى وصل منذ لحظات، من مكتب (نيويورك)، متابعًا فى أسى محنق:

- رجال (المافيا) الروسية فعلوها، دون سبب منطقى محدود .. كان رجالنا ينقلون (نادية) و(جيهان) و(بترو) إلى سيارة الإسعاف المجهزة، استعدادًا لنقلهم إلى الطائرة الطبية الخاصة، التى تنتظرهم فى (جى. إف. كيه)(*)، عندما تم نسف سيارة الإسعاف بغتة، ثم انقض الروس على كل من لم يقتله الانفجار، وأمطروهم بنيران مدافعهم الرشاشة بلا رحمة ..

كان هناك بركان من الغضب، يتفجر فى أعماق (أدهم)، وهو يستمع إلى الرجل، ويلتهم كلمات التقرير بمنتهى اللهفة ..

(*) جى. إف. كيه: الاختصار الشهير لمطار (كيندى) فى (نيويورك)، وهو واحد من أشهر وأكبر المطارات، فى العالم أجمع.

كان فخًا مدروسًا بكل تأكيد ..

فخ تسبب فى مصرع (نادية) و(بترو)، ومقتل ثلاثة من رجال المخابرات المصرية، بعد أن أطاح أحدهم بأحد رجال (المافيا) الروسية، عقب الانفجار ..

(جيهان) أيضًا أصيبت بثلاث رصاصات، كما أن دونا (كارولينا) نفسها مصابة برصاصة فى صدرها، وكلتاهما تخضع لعمليات جراحية عاجلة الآن ..

ولقد فقدت (كارولينا) أربعة من رجالها ولكن الباقين قتلوا كل رجال (إيفانوفيتش)، الذين تم تعرفهم، وكشف هويتهم، وانتماءاتهم ..

إنه صراع سيادة إذن ..

منظمة قوية جديدة، تسعى لبلوغ القمة، بالقضاء على رموز الزعامة القديمة ..

ووسط هذا يموت الأبرياء ، وتراق أنهار الدم ..

بلا رحمة ..

واشتعل غضب (أدهم) أكثر وأكثر ، وهو يشير إلى رجل المخابرات ، قائلاً :

ـ اتركنى وحدى .

كان انفعاله المكتوم يبدو واضحًا ، فى نبرة صوته ، واشتعال عينيه ، وذلك الشحوب الذى عاد يستولى على وجهه ولهجته ، فأومأ رجل المخابرات برأسه ، دون كلمة واحدة ، وانسحب مغلقًا الباب خلفه فى هدوء ..

ولثوان ، جلس (أدهم) صامتًا ، يتطلع إلى الباب المغلق ، ثم لم يلبث أن دفن وجهه بين كفيه ، وهو يقاوم تلك الانفعالات المستعرة فى أعماقه ..

إنه لم يعد يستطيع الاحتمال ..

الأمور المحيطة به ، تجاوزت كل حد ..

(إيفانوفيتش) لم يعد فى رأيه مجرد مجرم رهيب ، بل صار وحشًا مفترسًا ، لا يحق له أن يحيا فى عالم البشر ..

وكل شىء يتعقد بسببه ..

(مصر) تواجه مخططًا إرهابيًا ضخمًا ، مجهول التفاصيل ، بسبب الأسلحة القاتلة ، التى يبيعها للإرهابيين والمتطرفين ، فى كل الجبهات ..

(علاء) و(ريهام) و(شريف) يواجهون الموت ، فى قلب الجليد الروسى ، بعد أن انكشف أمرهم حتمًا ، مع ظهور الدكتور (رأفت كاظم) المفاجئ ..

والآن (بترو) و (نادية) و (جيهان) و (كارولينا) ..

كل هذا وهو يجلس هنا ، فى (القاهرة) ، مكتفيًا بالبرقيات العاجلة المشفرة ، الواردة من كل مكان ..

لم يعد بإمكانه احتمال هذا أكثر ..

صحيح أن الأطباء قد حذروه من النشاط والحركة ، فى تلك الفترة ، وإلا لانتهت حياته العملية ، وبات من المحتم عليه أن يتقاعد ..

وهذا بالنسبة إليه ، أشبه بالموت ..

بل هو أكثر سوءًا .

نهض من مقعده ، وراح يتحرك فى المكان ، كعادته كلما أراد حسم أمر ما فى ذهنه ، وهو يواصل تفكيره المتوتر ..

إنه لن يحتمل ..

لن يمكنه الاحتمال أكثر ..

ثم إن الأمور كلها مشتعلة بحق ..

لا بد أن يفعل شيئًا ..

لا بد ..

انعقد حاجباه أكثر وأكثر ، وهو يعيد دراسة الموقف كله ..

وفى ذهنه ، انسابت وجوه عديدة ..

(علاء) ..

(ريهام) ..

(شريف) ..

(جيهان) ..

(نادية) ..

(بترو) ..

دونا (كارولينا) ..

ثم (منى) .. (منى توفيق) ..

يا إلهى ! كم يحبها وكم يشتاق إلى وجودها إلى جواره الآن ..

ولكن هناك قرار حاسم ، لا بد أن يتخذه ..

قرار لا يقبل التردُّد ..

أو التأجيل ..

صمت بضع لحظات أخرى ، وهو يتذكّر عبارة قديمة طالما سمعها من والده رحمه الله ..

« ليس بالقوة وحدها تربح معاركك يا (أدهم) .. »

وتفجّر الحزم والعزم من كل لمحة من ملامحه ..

نعم .. ليس بالقوة وحدها ..

ليس بالقوة ..

وبكل مشاعره ، غادر مكتبه ، وغادر مبنى الأمن القومى كله ، إلى مبنى الإنجازات الخاصة ..

وفى الطابق الثانى ، دقّ باب حجرة خاصة ، فسمع من خلفه صوتًا يقول فى ضجر :

ـ ادخل .

دفع الباب ، وتلفت إلى الحجرة فى هدوء ، وتطلّع إلى الرجل الضخم ، بدا منهمكًا فى فحص شىء ما ، تحت عدسات المجهر ، وهو يقول :

ـ أخبرنى ما تريد فى سرعة ، فلدى عمل مهم ، لن يمكننى أن ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، ورفع وجهه عن عدستى المجهر بحركة حادة ، وهو يهتف ، قبل حتى أن يستدير إلى القادم :

ـ يا إلهى ! (أدهم) ؟!

وعلى الرغم من جسده الضخم المكتظ ، قفز (قدرى) عن مقعده فى خفة ، وتهللت أساريره بابتسامة كبيرة ، وهو يهتف :

- مرحبًا بك يا صديقى .. يا إلهى ! كم تسعدنى زيارتك هذه .. لقد اشتقت إليك طويلاً بحق .

صافحه (أدهم) فى حرارة ، وبابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- كيف حالك يا صديقى العزيز .

هتف (قدرى) ، وهو يربت على كتفه :

- فى أسعد أحوالى يا (أدهم) ، ما دمت قد شرفتنى بزيارتك هذه .

سأله (أدهم) ، وهو يجتذب مقعدًا ، ويجلس عند المجهر :

- كيف عرفت أنه أنا ؟!

ضحك (قدرى) ، واهتزت كتفاه المكتظتان ، وهو يقول :

- من غيرك يدلف إلى حجرتى ، دون أن أسمع وقع خطواته يا صديقى ؟!

تنهدَّ (أدهم) ، قائلاً :

- عظيم .. والآن اسمعنى جيدًا .. أريد منك خدمة .. خدمة خاصة ، وليست رسمية .

هتف (قدرى) :

- رقبتى لك .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- أية رقبة ؟! لست أرى سوى أكوام من الشحم واللحم .

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وهو يقول :

- حاول أن تتخيل وجودها تحت الشحم واللحم يا رجل .

ابتسم (أدهم) لحظة أخرى ، قبل أن تتحوّل ملامحه إلى الجدية ، وهو يقول :

- إنك لم تعرف حتى ما الذى أطلبه منك ، أو مدى خطورته .

هزّ (قدرى) رأسه ، مجيبًا فى حزم :

- اطلب ما بدا لك يا (أدهم) ، حتى ولو كان حياتى نفسها ، وسأقدمها لك فورًا ، قبل أن تقوم من مقامك .

أومأ (أدهم) برأسه ، مغمغمًا :

- هذا ما أنتظره منك يا صديقى .

ثم مال نحوه ، وقال فى حزم شديد :

- والآن اسمعنى جيدًا ، فالأمر بالغ الخطورة والأهمية .

وعندما شرح ما لديه ، اتسعت عينا (قدرى) فى ارتياع ..

فقد كان ما يطلبه (أدهم) مهمًا وخطيرًا بالفعل ..

بل كان أخطر ما يمكن أن يفعله أو يطلبه ، فى حياته كلها ..

دون أدنى شك .

* * *



٢ـ الأسرى ..

ألقى (شريف) نظرة على ساعته ، داخل ذلك القبو البارد كالثلج ، وهو يقول لرفيقيه ، فى توتر ملحوظ :

ـ عشرون دقيقة فقط ، وتنتهى المهلة .

زفرت (ريهام) ، قائلة :

ـ أراهنك أن تلك الأفعى تنتظر فى لهفة ، خارج القبو ، وهى تسن خنجرها السخيف .

قال (علاء) فى صرامة :

ـ هذا أفضل ، حتى لا أستغرق وقتًا ، وأنا أحشّ به عنقها .

كانوا يتحدثون بالعربية ، مما أصاب (سيرا) بالغضب ، وهى تراقبهما من حجرة (إيفانوفيتش) ،

فقالت فى حنق ، حطمَ جدار برودها الثلجى :

ـ يا للسخافة ! هل يتصوّرون أنهم سيخدعوننا ، عندما يتحدثون بلغتهم الأصلية ؟!

أشار بيده ، قائلاً ، وقد استعاد شيئًا من هدوئه :

ـ إنه أمر طبيعى .. لقد انكشف أمرهم ، ولم يعد هناك ما يمنعهم من أن يتحدثوا بلغتهم ، التى يشعرون معها بالارتياح حتمًا .

ثم تراقصت على طرف شفتيه ابتسامة واثقة ، وهو يقول :

ـ ما يقلقك ويثير سخطك وحنقك ، هو أنك تجهلين اللغة العربية ، التى يتحدثون بها ، ولكن اطمئنى .

وتسعت ابتسامته ، مضيفًا :

- ما يجهلونه ، هو أننى كنت مسئولاً عن نشاط الـ (كى . جى . بى) ، فى الشرق الأوسط ، وأننى أجيد العربية ، على نحو سيدهشهم .

سألته فى اهتمام :

- ماذا يقولون إذن ؟!

هزّ كتفيه ، ولوّح بكفه ، قائلاً :

- مجرّد أحاديث ، حول الـ ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه الكثان فى شدة ، وهو يميل إلى الأمام ، نحو شاشة الرصد ، هاتفًا فى غضب :

- الأوغاد !

سألته (ميرا) بقلق مستتر :

- ماذا حدث بالضبط ؟!

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يتجاهل سؤالها

تمامًا ، والغضب يعود لاكتساح كل مشاعره بلا هوادة ..

ففى نفس اللحظة ، التى بتر فيها عبارته ، كان (علاء) يقول لزميليه ، بعد أن ضمّدت (ريهام) إصابة كتفه ، بجزء من نسيج سترته :

- أعتقد أنه الوقت المناسب ، لبدء الخطة الاحتياطية ، التى دربنا عليها سيادة العميد (أدهم) .

نطقها بلغة خاصة جدًا ، لا وجود لها بين كل لغات الأرض ..

هذا لأنها ، باختصار ، لغة ابتكرتها عقول خبراء المخابرات المصرية وحدهم .

لغة هى مزيج من الإنجليزية ، والعبرية ، والإيطالية ، مع مصطلحات من العامية المصرية ،

التى يستخدمها أصحاب الحرف الخاصة(*) .

وكان من الطبيعى أن يجهل (إيفانوفيتش) تلك اللغة تمامًا ، وهو يسمع (شريف) يقول فى حزم ، بنفس اللغة :

- إنه يراقبنا ، من خلال آلتين ، واحدة فى الزاوية اليسرى ، والثانية فى السقف .

سألته (ريهام) :

- هل يمكنك إبطال مفعولهما ؟!

هز رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- بل يمكننى ما هو أفضل .

قالها ، وانتزع ساعته من يده ، ثم أشار إلى (علاء) ، متابعًا :

(*) فى (مصر) ، يستخدم أبناء كل حرفة لغة ذات مصطلحات خاصة جدًا ، لا يمكن أن يفهمها سواهم ، وقد قام البعض بوضع قاموس خاص لتلك اللغات ، ما زال متداولاً فى الأسواق ، حتى لحظة كتابة هذه السطور .

- لو أمكننى بلوغ الكاميرا الصغيرة فى السقف .

اتجه (علاء) نحوه ، قائلاً فى حزم :

- على الرحب والسعة .

ابتسمت (ريهام) ، وارتفع أحد حاجبيها ، وهى تقول :

- أنا أيضًا احتفظت ببعض خاماتى الأوّلية .

أمسك (علاء) ساقى (شريف) ، ورفعه بكل قوته إلى حيث أمكنه انتزاع كاميرا السقف ، فهتف (إيفانوفيتش) :

- (ميرا) .. أسرعى .

اختطفت (ميرا) مسدسها ، وانطلقت تعدو بأقصى سرعتها ، نحو القبو ..

وعلى الشاشة الثانية ، بدا (شريف) ، وهو يوصل طرفى سلكى الطاقة ، بعد انتزاع الكاميرا ،

بجانبي ساعته الصغيرة ، وهو يقول بتلك اللغة الخاصة :

ـ مجرد قصور في دائرة واحدة ، كاف لإتلاف الشبكة كلها .

مع قوله ، ضغط حزام الساعة من طرفيه ، فدوت فرقعة مكتومة ..

ثم انهارت دائرة المراقبة كلها ..

وبكل سخطه وغضبه ، هتف (إيفانوفيتش) :

ـ يا للأوغاد !

وأسرع يضغط زر الاتصالات الداخلية ، وهو يهتف :

ـ الأسرى يحاولون الفرار .. استنفار عام .. فصلوا القبو عن نظام المراقبة العام ، وأعيدوا تشغيل النظام كله ..

ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يواصل في غضب :

ـ لا تسمحوا للأسرى بالفرار ، مهما كان الثمن .. أطلقوا النار فور رؤيتهم .. أريدهم موتى .. هل تفهمون ؟!

وصرخ مكررًا في ثورة بلا حدود :

ـ موتى .

سمعت (ميرا) النداء ، وهي تعدو نحو القبو ، فصرخت في طاقم حراسته ، قبل حتى أن تبلغه :

ـ اقتلوا الأسرى .. فورًا .

رفع الرجال مدافعهم الآلية ، وانقضوا على باب القبو ، و ..

وفجأة ، دوى انفجار ..

انفجار محدود ، ولكنه اقتلع باب الزنزانة ، ودفعه

نحو رجال (المافيا) الروسية، ليرتطم بهم، ويسقط معهم أرضًا . وانطلقت موجة تضاغطية مباغتة ، أصابت (ميرا) كلطمة عملاقة ، وأسقطتها على ظهرها في عنف ..

وفي اللحظة التالية ، أو هي نفس اللحظة ، تدفع (علاء) و(ريهام) و(شريف) خارج الزنزانة ، والأول يهتف في حماس :

- (ريهام) .. أنت عبقرية بحق ، في هذا المضمار .

ثم وثب إلى الأمام ، وركل المدفع الآلي ، من يد أحد رجال (المافيا) ، والتقطه في الهواء ، مستطردًا :

- لقد انبهرت ببساطة الأمر وقوته .

هتفت (ميرا) من سقطتها ، وهي تصرخ :

- غير مسموح لكم بالفرار .

انقضت عليها (ريهام) ، ولكمتها في معدتها لكمة عنيفة ، هاتفة :

- ومن طلب الآن بهذا ؟!

كانت اللكمة بلغة العنف ، فانثنت معها الروسية الفاتنة إلى الأمام ، ولم تكد تفعل ، حتى قفزت ركبة (ريهام) ، لتضربها في فكها ضربة قوية ، جعلتها تطلق شهقة ألم مكتومة ، وهي تسقط مرة أخرى على ظهرها ..

ولكنها لم تتخلَّ عن مسدسها ..

ومن بعيد ، تعالى وقع أقدام المزيد من رجال (المافيا) الروسية ، فصاح (علاء) بزميليه في توتر :

- أسرعا .. لو لم نغادر هذا المكان بأقصى سرعة ، ستكون هذه أوّل وآخر معركة مشتركة نخوضها ، بهويتنا الحقيقية .

هتف (شريف) فى عصبية :

- تتحدث كما لو أنه لدينا أمل ، فى الخروج من هنا أحياء .

انطلق الثلاثة يعدون خارج المكان ، و (ريهام) تلتقط مدفعًا آليًا آخر ، هاتفة :

- تجربتنا السابقة تقول : إنهم يحرسون الحديقة والقصر جيدًا ، ولن يمكننا عبور المكان ، دون أن نواجه رجال الحرس الخارقين ، أو الكلاب الشرسة المتوحشة .

صاح (علاء) :

- ليست أمامنا سوى وسيلة واحدة ، للخروج من هنا .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يقفز خارج المكان ، مضيفًا :

- الهليوكوبتر .

نهضت (ميرا) فى تلك اللحظة ، وهى تشتعل غضبًا ، وصاحت برجال (المافيا) الروسية ، الذين لم يتمالكوا أنفسهم بعد :

- استيقظوا أيها الحمقى .. اقتلوا هؤلاء الخونة ، قبل أن يتضاعف غضب الزعيم ، ويقتلنا جميعًا بلا رحمة ، بعد أن يظفر بهم .

ثم اندفعت بمسدسها خلف أبطالنا الثلاثة ، وهى تضيف :

- ولن تفوتنى لحظة مصرعهم أبدًا .

كان (علاء) و(ريهام) و(شريف) يعدون فى الحديقة ، بكل ما أمكنهم من قوة وسرعة ، متجهين نحو الهليوكوبتر ، التى استقرَّت على مهبطها ، على مسافة كبيرة منهم ، فى نفس الوقت الذى برز فيه خمسة من رجال (إيفانوفيتش) ، من ناحية القصر ، وانضمَّت إليهم (ميرا) ، وهى تصرخ :

- أطلقوا النار .. الزعيم يريدهم موتى .. أطلقوا النار بلا رحمة ..

ومع آخر حروف كلماتها ، برز رجال الحرس الخارق ، في ثيابهم السوداء الداكنة ، وخوذاتهم اللامعة ..

وارتفع نباح الكلاب المتوحشة ..

ثم انهالت الرصاصات كالمطر ..

من كل صوب ..

وتحوّل المكان بالفعل إلى جحيم حقيقي ..

جحيم اشتعل على كل الجبهات ، التي تصبّ كلها على الأبطال الثلاثة ، الذين لم يعد أمامهم سوى العدو ، أو ..

أو الموت ..

كانت الرصاصات تتطاير من حولهم بلا حساب .

وشعرت (ريهام) بألم في ذراعها ، في نفس اللحظة التي انغرست فيها رصاصة في فخذ (شريف) ، الذي اتسعت عيناه عن آخرهما ، وحاول أن يواصل العدو خلف زميليه ، إلا أنه لم يستطع ، فصرخ وهو يسقط أرضًا :

- واصلا طريقكما .. لاتتوقفا من أجلي .. أسرعا .

خفق قلب (ريهام) في عنف ، وهي لاتتصوّر أن تواصل طريق الفرار دونه ، في حين كانت الرصاصات تتواصل من حولها ، مهدّدة إياها بالموت ، لو توقّفت لحظة واحدة ..

أما (علاء) ، فقد كانت لديه خطة أخرى ، جعلته يصرخ :

- لا تتوقفي يا (ريهام) .. لا تتوقّفي .

وترك (شريف) جسده يسترخي أرضًا ، وهو يصرخ بدوره :

- استمعى إليه يا (ريهام) .. لا تتوقفى .. لا تتوقفى أبدًا ولكن (ريهام) لم تستمع إليهما ..

طبيعتها كأنثى رفضت أن تتخلى عن زميل كفاحها ، فصرخت :

- لا .. لن يمكننى هذا .

كانت الكلاب المتوحشة تندفع نحو (شريف) ، فى شراسة بلا مثيل ، وأنيابها الحادة المخيفة تبرز ، من بين الزبد المتطاير فى شدقيها ، عندما أطلقت مى رصاصاتها بمنتهى القوة ..

ومنتهى اليأس ..

وفى نفس اللحظة ، التى صرخت فيها الكلاب ، مع الرصاصات التى انغرست فى أجسادها ، كان (إيفتوفيتش) يهتف بطيار الهليوكوبتر ، عبر جهاز اتصال داخلى محدود :

- الهليوكوبتر .. إنهم يسعون خلف الهليوكوبتر..

ارتفع بها يا رجل .. أسرع وإلا نسفت رأسك الأحمق .

أسرع الطيّار يشعل محركات الهليوكوبتر ، فدارت مراوحها فى قوة ، فى نفس اللحظة التى انهالت فيها الرصاصات على (ريهام) ، واخترقت كتفها وجانبها ، واقتلعتها من مكانها ، لتلقى بها أرضًا فى عنف ..

ومع سقوطها ، ارتفعت الهليوكوبتر ..

وفى نفس لحظة ارتفاعها ، وثب (علاء) كالفهد ..

وثب يتعلّق بها ، ثم دفع جسده إلى أعلى ، بنفس الأسلوب الذى لقنه إياه (أدهم) فطار جسده الرشيق فى مرونة ، وارتفعت قدمه تضرب باب الهليوكوبتر ، ثم اندفع كله داخلها ..

واتسعت عينا الطيار ، الذى حاول انتزاع مسدسه ، وهو يصرخ :

- أيها الـ ..

قبل أن يتمّ عبارته ، دوت لكمة (علاء) على فكه كالقنبلة ، لتنتزعه من مقعده ، وتلقى به خارج الهليوكوبتر في عنف ..

كل هذا والجليد يتساقط ، ويكسو كل شيء بغلاف من الثلج الأبيض ، امتزج بكل ما أريق من دماء ..

وبسرعة مدهشة ، سيطر (علاء) على الهليوكوبتر ، ثم جذب عصا قيادتها ، ليديرها نحو الحراس الخارقين ، الذين يندفعون نحو (شريف) و (ريهام) ..

وضغط زر الإطلاق ..

ومن أسفل الهليوكوبتر ، انطلق صاروخ رفيع صغير ، لينفجر وسط الحراس الخارقين تمامًا ..

ودوى الانفجار ..

الانفجار لم تحتمله أجساد الحراس ، على الرغم من أزيائهم المضادة للرصاص ، فتطايرت في عنف ، وتساقطت حول مركزه ..

وصرخت (ميرا) بكل غضبها :

- أطلقوا النار .. اقتلوهم ..

ولكن (علاء) أدار الهليوكوبتر مرة أخرى ، نحو (ميرا) وباقي رجال (المافيا) الروسية ..

ثم أطلق صاروخًا آخر ..

وبكل قوتها وسرعتها ، اندفعت (ميرا) نحو مبتعدة ، ثم وثبت إلى الأمام ..

ودوى الانفجار ..

انفجر آخر ما تحمله الهليوكوبتر الصغيرة من صواريخ دفاعية ، و (علاء) يهبط بها إلى جوار (شريف) و(ريهام) ، صائحًا :

- أسرعا .. أسرعا بالله عليكما .

تنعش الأمل فى صدر (شريف) ، مع ذلك التغير المباغت ، فانتزع نفسه من مكمنه انتزاعًا ، وعاون (ريهام) على النهوض ، هاتفًا :

- أسرعى يا (ريهام) .. ربما ! ربما كان هناك أمل .

هبّت (ميرا) من سقطتها ، فى هذه اللحظة ، ورفعت مسدسها تطلق النار على الهليوكوبتر ، صائحة :

- لا تسمحوا لهم بالفرار .. لا تسمحوا لهم بالفرار .

أصابت رصاصاتها جسم الهليوكوبتر ، فى نفس اللحظة التى دفع فيها (شريف) جسد (ريهام) داخلها ، ثم انضمّ إليها ، صائحًا :

- أسرع يا (علاء) .. أسرع بالله عليك .

وقبل حتى أن يتمّ صيحته ، كان (علاء) يجذب عصا القيادة ، ويرتفع بالهليوكوبتر ، التى مازالت رصاصات (ميرا) ترتطم بها ، فى نفس اللحظة التى برز فيها المزيد والمزيد من رجال (المافيا) الروسية ، حاملين مدافعهم الآلية ، وفى جوارهم فريق جديد الحرس الخارق ..

أما (إيفانوفيتش) ، فقد اشتعل غضبه كاللهب ، عندما رأى الهليوكوبتر ترتفع ، واندفع نحو ركن من مكتبه ، وهو يصرخ :

- محال .

أزاح المكتب فى سرعة ، وتركها تسقط أرضًا ، ثم جذب جهازًا آخر ، من مخبأ سرى خلفها ، وضغط زر إشعاله ، وهو يواصل بعصبية زائدة :

- سأخسر طائرة هليوكوبتر ، ولكننى سأربح سمعتى بين الكل .



أزاح الكتب في سرعة ، وتركها تسقط أرضًا ، ثم جذب جهازًا آخر ، من مخبأ سرى خلفها ..

اشتعل مستطيل صغير أعلى الجهاز ، وبدت عليه شاشة أشبه بالرادار ، تتحرك فوقها نقطة مضيئة ، فجذب ذراعًا ، وهو يقول بنفس العصبية :

ـ تظنون أنكم قادرون على خداع (إيفانوفيتش) مرة أخرى .

كانت الهليوكوبتر قد ارتفعت في هذه اللحظة ، وانطلقت نحو أسوار القصر ، و (ميرا) مع الرجال يطلقون خلفها سيلاً من النيران ، عندما فتح (إيفانوفيتش) بابًا جانبيًا في جهازه ، مغمغمًا :

ـ لو أنكم تتصورون أنكم في طريقكم إلى الحرية ، فأنتم واهمون .. المكان الوحيد ، الذى ستذهبون إليه هو ..

وجذب ذراعًا صغيرة داخل تلك البلب ، مضيفًا بغضب وحشى :

- الجحيم .

ومع الجنبة ، برزت منصة صواريخ صغيرة أعلى القصر ..

ثم انطلق منها صاروخ واحد ..

صاروخ حديث وقوى للغاية ، اتجه نحو هدفه ، الذى تم تحديده مسبقًا ، بشعاع غير مرئى من الليزر ..

نحو الهليوكوبتر ..

مباشرة ..

* * *

لم تكد (منى) تكلف إلى مبنى المخابرات العامة ، حتى اتجهت مباشرة إلى مكتب (أدهم) ، ودقت بابه مرتين ، قبل أن تفتحه متسائلة :

- أأنت نائم ؟!

انعقد حاجباها فى توتر ، عندما وجدت مكتبه خاليًا ، فاندفعت إلى أول مكتب صادفته ، وسألت صاحبه :

- أين السيِّد (أدهم) .. هل عاد إلى منزله ؟!

هزَّ رجل المخابرات رأسه مجيبًا :

- لست أدرى .. آخر ما أعلمه هو أنه قد ذهب لزيارة السيِّد (قدرى) .

انعقد حاجباها ، وهى تكررُ فى توتر :

- (قدرى) ؟!

لم تدر لماذا شعرت بتلك التوتر الشديد ، وهى تسير فى خطوات أقرب إلى العدو ، متجهة نحو (قدرى) ، الذى لم تطرق باب حجرته كالمعتاد ، وإنما اقتحمتها فى عنف ، قائلة :

- أين (أدهم) يا (قدرى) ؟

لم يكد (قدرى) يرفع إليها عينيه الدامعتين المحمرتين ، ووجهه اليائس الحزين ، حتى هوى قلبها بين قدميها ، وهى تصرخ فى لوعة :

ـ أين هو ؟!

رفع (قدرى) يده إليها بمظروف مغلق ، وهو يقول بصوت كالبكاء :

ـ لقد ترك لك رسالة .

اختطفت المظروف من يده بكل لوعة ولهفة الدنيا ، وارتجفت أصابعها وهى تفضه ، وتختطف ذلك الخطاب من داخله ، ثم تلتهم كلماته التهامًا ..

كانت مجردَ أسطر قليلة ..

أسطر يسند إليها فيها مهمة مواصلة تعقُّب (سونيا جراهام) ؛ للتأكد من الفكرة التى راودته ، بأنها قد استأجرت من يلعب دورها ؛ لتشتيت انتباهه ، مع مكالماتها التى تتم عبر الأقمار

الصناعية ، بعيدًا عن عملية أخرى ، يتم إعدادها فى الخفاء ، خارج حدود (مصر) ..

وفى نهاية الخطاب يطلب منها ألا تسعى للحاق به ، بأية صورة من الصور ، وألا تخبر أحدًا عما قرَّره ، ثم يخبرها فى آخر سطر أنه يحبها ، وسيظلّ يحبها ، حتى آخر لحظة فى حياته ..

وبكى قلبها بدموع من الدم ، وهى تلوِّح بالخطاب ، وتسأل (قدرى) بصوت مرتجف :

ـ أين ذهب ؟!

تفجَّرت الدموع من عينيه أكثر ، وهو يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ لقد أقسمت ألا أخبرك .

صرخت فيه بكل انفعالها :

ـ أين ذهب ؟!

هز رأسه فى قوة ، وهو يصرخ بدوره :

ـ لقد أقسمت .

ثم عاد يبكى كطفل كبير ، وهو يضيف :

ـ إننى أفضل الموت ، عن أن أحنث بوعدى له .

تراجعت (منى) بوجه شاحب مذعور ، وعينين اتسعتا حتى آخرهما ، بكل ارتياع الدنيا ..

لو أن (قدرى) لن يفعل ، فلن يخبرها مخلوق آخر ، أين ذهب (أدهم) الآن ..

وهذا يمزقها تمزيقًا ..

فبخلاف تقارير الأطباء ، وقواعد العلم والمنطق ، كان هناك شىء ما ، فى أعماق قلبها ، ينبئها بأن هذه المهمة ، التى يخوضها (أدهم) ، بكل إصرار وعناد الدنيا ، لن تكون أبدًا بالمهمة اليسيرة ..

وبأنها ستكون مهمة خاصة جدًا لرجل المستحيل ..

مهمته الأخيرة ..

* * *

« لن تنجو أبدًا .. »

انطلقت الصرخة من حلق (ريهلم) ، عندما رأت ذلك الصاروخ الصغير ينطلق ، نحو الهليوكوبتر مباشرة ، واتسعت عينا (شريف) ، وهو يغمغم ملتاعًا :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (علاء) ، فقد عقد حاجبيه فى شدة ، ومال بالهليوكوبتر بحركة حادة ، وانخفض بها بغتة ، وهو يواصل انطلاقه بها ، نحو الأسوار الخلفية ، التى تحيط بحديقة القصر الهائلة ، والصاروخ يواصل انطلاقه نحوه فى إصرار ..

وبأقصى سرعة ، اتجه نحو الأسوار ، وكأنما يسعى للاصطدام بها مباشرة ، فصرخت (ريهام) :

ـ ماذا تفعل ؟!

ردد (شريف) ، وعيناه تتسعان عن آخرهما :

ـ إنه يحاول خداع الصاروخ .

هتفت :

ـ خداع ماذا ؟!

لم يبال (علاء) بهتافهما ، وحديثهما الذى لم يستوعب منه حرفًا واحدًا ، لأن كيانه كله كان منشغلاً بالتركيز فى الصاروخ ، وخط سيره ، وفى استيعاب وتذكر كل ما تعلمه عن الصواريخ المضادة للطائرات ، منذ التحق بقوات الصاعقة ، وتلقى تدريباته فى جهاز المخابرات المصرية ..

ولقد طارده الصاروخ بسرعة مدهشة ، وانطلق

خلفه فى خط مستقيم ، وهو يواصل انطلاقه نحو أسوار القصر الخلفية ..

وفى حجرة مكتبه الخاصة ، تابع (إيفانوفيتش) المشهد بحاجبين معقودين ، وغضب بلا حدود ، على شاشة ذلك الرادار الخاص ، وشاشات المراقبة العادية ، التى عادت إلى العمل ، بعد فصل الجزء الخاص بالقبو ، ووجد نفسه يغمغم فى عصبية :

ـ انطلاق فى خط مستقيم ، على ارتفاع منخفض ؟! ما الذى يسعى إليه هذا المجنون بالضبط ؟!

ثم فجأة ، وثبت الفكرة إلى رأسه ، فانعقد حاجباه فى شدة أكثر ، وقال بكل غضب الدنيا :

ـ لا .. لا يمكن أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع (علاء) بالهليوكوبتر فجأة ، قبل أن يبلغ الأسوار بخمسة أمتار فحسب ، وتجاوزها فى آخر ثانية ..

وانحرف الصاروخ خلفه ، محاولاً اللحاق بـه ، و ....

ولكن الأسوار اعترضته بغتة ، فارتطم بها فى عنف ..

ودوى الانفجار ..

انفجر الصاروخ ، فى الأسوار الخلفية للقصر ، بدوى هائل عنيف ، واشتعلت مع انفجاره نيران رهيبة ، وسط الجليد المتساقط ، وانهار جزء ضخم من الأسوار ، و (علاء) يرتفع بـالهليوكوبتر ، ويبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

وبكل غضب الكون ، صرخ (إيفانوفيتش) :

ـ لا !!!!! .

أما (ميرا) ، فقد انعقد حاجباها بكل الغضب ، وخفضت فوهة مسدسها ، على عكس الباقين ، الذين واصلوا إطلاق النيران ، على الرغم من اختفاء الهليوكوبتر وسط الظلام ، وغمغمت فى برود عجيب ، يتناقض مع الموقف كله :

ـ لقد أصبتها .. أنا واثقة من أننى قد أصبتها .

وفى الهليوكوبتر ، ران الصمت التام بضع لحظات ، قبل أن يتساءل (شريف) فى دهشة حذرة ، وبصوت منخفض متوتر :

ـ هل .. هل تجاوزنا الموقف ؟!

أجابه (علاء) فى حزم :

ـ نحن الآن خارج أسوار القصر .

هتف :

ـ حقاً ؟!

وعلى الرغم من إصابتها ، أطلقت (ريهام) ضحكة ظافرة ، وهتفت :

ـ لقد فعلتها أيها النقيب .. هزمتهم جميعًا .

واصل (علاء) الانطلاق بالهليوكوبتر ، فوق الأشجار المحيطة بالقصر ، وهو يقول فى شىء من الصرامة :

ـ مؤشر الوقود ينخفض فى سرعة .

اتسعت عيون (شريف) و(ريهام) ، دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة ، فى حين بدأت مروحة الهليوكوبتر تصدر صوتًا مقلقًا ..

صوت قد يعنى أنه من المستحيل أن تحملهم الهليوكوبتر بعيدًا ..

من المستحيل تمامًا ..

« أنا واثقة من أننى قد أصبتها .. »

كررت (ميرا) العبارة فى غضب صارم ، وهى تراقب شاشة الرادار الصغير ، فى حجرة مكتب (إيفانوفيتش) الخاصة ، الذى أشار إلى النقطة المضيئة ، قائلاً فى صرامة :

ـ هذا صحيح يا (ميرا) .. لو تابعت مسار الهليوكوبتر ، لأدركت أنك قد أصبت إحدى محركاتها أيضًا ، لأنها تنخفض فى سرعة ، على الرغم من أنها تُحلق الآن فوق منطقة الأشجار .

غمغمت فى انتباه :

ـ حقًا ؟!

انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ أعتقد أنه لا ينبغى أن نضيع وقتًا طويلاً ، قبل أن تخرج فرقة المطاردة ، لاصطياد هؤلاء المصريين .

تساءلت فى حذر :

- فرقة مطاردة ؟!

أجابها بصرامة أكثر :

- ستقودين المطاردة ، ومعك خمسة من الحرس الخارق ، وخمسة آخرون من رجالنا ، مع أحدث أسلحتنا ، ومعدات الرؤية الليلية .

قالت فى دهشة :

- تتحدث بثقة ، كما لو أنك واثق من ..

قاطعها فى صرامة :

- انظرى .

تطلعت إلى شاشة الرادار ، ورأت النقطة المضيئة تواصل انخفاضها فى سرعة ، فسألته فى حذر :

- ما الذى يعنيه هذا ؟!

خُيِّل إليها أن عينيه قد تألقتا كالشياطين ، وهو يجيب :

- إنهم يسقطون .

وكان على حق تمامًا ..

ففى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كانت الهليوكوبتر قد فقدت آخر نقطة وقود فى خزانتها ، وتوقفت مروحتها العلوية الرئيسية عن العمل ، وبدأت تهوى فى منطقة الأشجار .. بمنتهى العنف .

* * *



٤ ـ السقوط ..

بدا اليونانى (نيكولاس ديمترى) هادئًا صامتًا رصينًا ، على غير المعتاد ، وهو يهبط من الطائرة ، فى مطار (القاهرة) ، وينهى إجراءاته الجمركية فى سرعة ، مع الحقيبة الوحيدة ، التى اصطحبها معه ، والتى أثارت محتوياتها قلق رجال الأمن ، وأحدهم يسأله فى توتر :

ـ ما هذا الشىء بالضبط ؟!

داعب (نيكولاس) شاربه ولحيته المستعارين ، وهو يقول بالفرنسية :

ـ يد معدنية جديدة .. مجرَّد عينة ، أحملها لعرضها على مصنِّعى الأطراف الصناعية عندكم .. إنها مهنتى .

قالها ، وهو يبرز جواز سفره ، الذى يحوى صورته ، بنفس اللحية والشارب ، وإلى جوارها اسم فرنسى ، ووظيفة مندوب مبيعات ، فى واحدة من أكبر شركات تصنيع الأطراف الصناعية فى (باريس) ..

وبناء على هذه المعلومات الجديدة ، أعاد ضابط الأمن فحص تلك اليد المعدنية ، قبل أن يعيدها إلى الحقيبة ، قائلاً فى احترام :

ـ أهلاً بك فى (مصر) يا سيِّدى .. أتمنى لك إقامة طيبة هنا .

ابتسم (نيكولاس) ، قائلاً بالفرنسية :

ـ أشكرك .

وحمل حقيبته ، مع ابتسامته العريضة ، مغادرًا المطار ، وفى أعماقه ضحكة ساخرة كبيرة ..

ولم يكد يتجاوز المبنى ، حتى اتجه نحوه شخص يونانى الجنسية ، قائلاً :

ـ مسيو (شارل) .. مرحبًا بك فى (القاهرة) .. مستر (كروجر) أرسلنى لاصطحابك إلى محل إقامتك هنا .

قالها اليونانى ، وهو يمدّ يده لالتقاط الحقيبة ، ولكن (نيكولاس) أبعدها بحركة حادة ، وهو يقول بغلظة :

ـ اتركها لى .

ثم أضاف بشىء من العصبية :

ـ الشمس هنا تشرق من أسفل .

اعتدل اليونانى الآخر ، وأطلق ضحكة قصيرة ، قائلاً :

ـ آه .. معذرة يا مسيو (شارل) .. يبدو أننى قد نسيت .

ومال نحوه ، مضيفًا :

ـ فالأوضاع هنا مقلوبة ، رأسًا على عقب .

ثم ضحك ، قائلاً :

ـ الواقع أننى لم أعتد هذه الأمور .

استعاد (نيكولاس) ابتسامته ، وهو يقول :

ـ وأنا أيضًا .

قاده اليونانى الآخر إلى سيارة صغيرة ، قائلاً :

ـ كان ينبغى أن تنتظرك سيارة فاخرة يا مسيو (شارل) ، ولكنها أوامر مستر (كروجر) .

ألقى (نيكولاس) حقيبته داخل السيارة ، قبل أن يدفع جسده إليها ، ثم يفتح الحقيبة ، ويلتقط منها اليد المعدنية فى لهفة ، قائلاً :

ـ آه .. كم أفتقدها .

انتزع من معصمه يدًا من البلاستيك ، ألقاها بازدراء فى الحقيبة ، ثم راح يثبت يده المعدنية

فى موضعها بعناية فائقة ، فى حين قاد الآخر السيارة ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أننا قد نجحنا فى خداع أجهزة الأمن المصرية ؟!

هزّ (نيكولاس) كتفيه ، قائلاً :

ـ لو أردت رأيى الشخصى ، فأنا أعتقد أن هذا كاف .

انتهى من تثبيت يده المعدنية ، فاعتدل فى مجلسه ، وتنهّد فى ارتياح ، قبل أن يضيف :

ـ ولكنهم يقولون : إن هذا لن يخدع أحدًا .

تساءل السائق فى دهشة :

ـ لماذا فعلوه إذن ؟!

انطلقت من حلق (نيكولاس) ضحكة مجلجلة ، وهو يقول :

ـ لأنهم يجيدون لعب الشطرنج .

سأله السائق بدهشة أكبر :

ـ وما علاقة هذا بالشطرنج ؟!

مال (نيكولاس) نحوه ، من المقعد الخلفى ، وقال فى خبث :

ـ بالنسبة للمصريين ، أنا فيل الشطرنج ، الذى يتحرّك فى خطوط مستقيمة ، وبزوايا حادة ، لتشتيت انتباه العدو ، حتى ينقضّ الحصان على الهدف فجأة ، دون أن يتوقّعه أحد .

قالها ، وتراجع فى مقعده ، ثم انطلقت من حلقه ضحكة أخرى مجلجلة ، والسيارة تواصل طريقها ، وتبتعد عن مطار (القاهرة) ، متجهة نحو العاصمة ..

عاصمة الهدف ..

(مصر) ..

* * *

لم يبك الدكتور (رأفت كاظم) ، فى حياته كلها ، مثلما بكى فى تلك اللحظات ، وهو منكمش فى ركن حجرته ، وأذناه تلتقطان دوى الرصاصات والانفجارات ..

وبكل قوته ، حاول أن يسدّ أذنيه بكفيه ، وهو يصرخ :

- لا .. لا .. لا مزيد من الدماء .

كان يشعر بألم شديد فى أعماقه ، كلما تصوّر أنه المسئول عن مصرع (علاء) وزميليه ..

لقد شهد مولد (علاء) ، وعاش جارًا له طيلة عمره ..

بل لقد اعتبره دومًا كابن له ، خاصة وأن القدر لم يشأ له أن ينجب ابنًا من صلبه أبدًا ..

وها هو ذا الآن يكون سببًا فى مقتله ..

وكل هذا بسبب الخيانة ..

الخيانة التى أجبروه عليها ، عندما لم يكن قد تجاوز الرابعة والعشرين من عمره بعد ..

عذاب رهيب هذا الذى احتمله ، قبل أن يرضخ لضغوطهم ، ويتورّط فى ذلك المستنقع ، الذى تصوّر أنه سينتشله من جحيمهم الرهيب ..

ولم يكن يدرى أنه سيلقى به فى جحيم أكبر ..

جحيم دائم ..

وبلا نهاية ..

فى البداية ، لم يطالبوه بأية معلومات ، وإنما بتقارير دورية عن الأجانب فى (مصر) ..

فقط الأجانب ..

وفى كل مرة ، كان يوقّع التقرير بيده ، طبقًا للأوامر ..

ومع كل توقّع ، كان يتورّط أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة ، لم يعد هناك من يطالبه بأى نشاط ..

أكثر من ربع قرن ، لم يطالبه فيها مخلوق واحد ببذل أدنى جهد ، أو حتى يحاول الاتصال به مرة واحدة ..

ومع سقوط الاتحاد السوفيتى ، والحديث عن انهيار جهاز المخابرات هناك ، تصوّر أن كل شىء قد انتهى ..

ولثلاث سنوات تالية ، تعمّق داخله هذا الإحساس ، مع استقرار أوضاعه ، وصعوده إلى منصب أكثر أهمية ، وتفكك جهاز المخابرات السوفيتى ، ومنشأ جهاز مخابرات روسى جديد ..

ثم فجأة ، تلقّى اتصالاً من (إيفانوفيتش) ..

كان (إيفانوفيتش) هو ضابط الاتصال المسئول عنه ، منذ ربع قرن ، ولم يتمّ بينهما سوى اتصال واحد محدود ، ولقاء فى إحدى دول (أوربا) لساعة واحدة ..

ولكنه كان بحكم موقعه ، يعرف عنه كل شىء ..

كل شىء ، بلا استثناء ..

وكان يهدده بكشف أمره لكل المسئولين فى (مصر) ، لو لم ينقل تعاونه ، من المخابرات الروسية إلى منظمته الجديدة ..

ولم يكن أمامه أى خيار ..

فهذا الخيانة ..

مستنقع آسن ضخم ، ما إن تضع قدمك فيه ، حتى تتوغل ، ويغوص جسدك أكثر وأكثر ، إلى أن تجد نفسك غارقًا فيه ..

حتى النخاع ..

الشيء الوحيد ، الذى حاول إقناع نفسه به ، هو أن ما ينقله من معلومات لن يؤذى أحدًا ، ما دام لا يمنحه لجهاز مخابرات آخر ..

ثم أيقظه (إيفانوفيتش) من هذا الوهم بغتة ..

وبمنتهى العنف ..

ومزّقه ما فعله بجاره وابنه الروحى ..

بالنقيب (علاء) ..

دم جديد ، أضافه إلى أنهار الدم ، التى أراقها بمعلوماته ، لسنوات وسنوات ..

وها هى ذى كل قطرة دم منها تدميه ..

تؤرقه ..

تعذّبه ..

تقتله بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

وهو ـ من وجهة نظره الشخصية ـ لا يستحق أدنى رحمة ..

إنه لم يؤمن أبدًا بقواعد الرحمة والشفقة ، فى حياته العملية ..

أبدًا ..

ولم يستطع قط هضم فكرة درجات الرأفة ، التى تمنحها الجامعة للطلاب ، الذين يحتاجون إلى درجة أو درجتين ، لتجاوز مستوى الرسوب ، فى بعض المواد ..

كان يؤمن دومًا بقاعدة واحدة صارمة ..

على كلٍّ أن يتحمل نتائج عمله ..

إما أن يستذكر دروسه وينجح ..

أو يتكسل فيفشل ..

لا مجال هنا للعاطفة ..

والرأفة ..

والرحمة ..

ولم يتصوّر لذا أن يقف الموقف نفسه يومًا ..

أن يواجه نتائج أفعاله ..

لقد خان وطنه ..

ولم يعد يستحق الرحمة ..

كل ما يستحقه هو الموت ..

وبلا رحمة ..

وفجأة ، دوى انفجار آخر عنيف ..

ثم توقف كل شيء بعد لحظات ..

وعاد الهدوء ..

وانهار (رأفت) أكثر وأكثر ..

فبالنسبة إليه ، وبناء على قواعد العقل والمنطق ، كانت عودة الصمت والهدوء تعني أن القتل قد بلغ نهايته ..

وأن (علاء) وزميليه قد لقوا حتفهم ..

دون أدنى شك ..

الشيء الذي لم يدر بخلده قط : هو أن كل تلك النيران والانفجارات لم تنجح في قتل الأبطال الثلاثة ..

وإنما قد يقتلهم سقوط آخر ..

سقوط وسط الثلوج الروسية ..

بعنف ..

* * *

نفد وقود الهليوكوبتر ، وتوقفت مروحتها الرئيسية دفعة واحدة ، فمالت إلى الأمام ، وراحت تهوى ..

نحو قمم الأشجار ، المكسوة بالجليد ..

وجذب (علاء) عصا القيادة ، ليرفع مقدمة الهليوكوبتر ، كمحاولة لتخفيف ارتطامه بالأشجار ، و (ريهام) تهتف :

- رباه ! إننا نهوى بعنف .

صاح بها (علاء) فى صرامة :

- اربطى حزام مقعدك جيداً ، واحمى رأسك بذراعيك .. أسرعى .

وأنت أيضاً يا (شريف) .. هيا .. هيا ..

كانت إصاباتهم تؤلمهم بشدة ، ودماؤهم تنزف فى غزارة ، والهليوكوبتر تهوى بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

وأكبر ..

ثم حدث الارتطام بغتة ..

ارتطمت فى البداية بقمم الأشجار الحادة المرتفعة ، وتحطم ذراع الهبوط أسفلها فى عنف ، قبل أن تميل على جانبها ، وهى تنزلق بين الأشجار ، التى تحطمت بعض أغصانها الضعيفة ، فى حين راحت الأغصان القوية تحطم الزجاج ، الذى تطاير على نحو مخيف ، داخل الهليوكوبتر ، التى واصلت الهبوط ، وراحت تصطدم بكل شىء ..

ثم ارتطمت بالأرض فى عنف ..

واندفعت داخلها كميات من الجليد لبضع لحظات ، قبل أن ينتهى كل شىء ، ويسود الهدوء ..

والصمت ..

والبرد ..



ثم أعقب هتافه جلبة محدودة ، انتزع بعدها (علاء) نفسه من بين مقعده المحطم وعصا القيادة ..

كانت أصابع (ريهام) تكاد تتجمد ، وكل إصابة في جسدها تنزف في غزارة ، وهي تهتف في هلع :

- (علاء) .. (شريف) .. أين أنتما ؟! أأنتما بخير ؟! (علاء) .. (شريف) .

جاوبها الصمت المطبق لثانية أو ثانيتين ، وسط الظلام المحيط بها ، والبرد القارس الرهيب ، والجليد المنهمر بلا انقطاع ، فصرخت :

- يا إلهي ! يا إلهي !

ومع نهاية صرختها ، سمعت (شريف) يسعل ، ويهتف :

- رباه ! ساقي .. يا للألم .

ثم أعقب هتافه جلبة محدودة ، انتزع بعدها (علاء) نفسه ، من بين مقعده المحطم ، وعصا القيادة ، وهو يقول :

- حمداً لله .. لقد نجونا .

كادت دموع (ريهام) تتفجر عندئذ كالبركان ، وهى تهتف :

- أحمدك يا رب ..

ووسط الظلام والجليد ، جاهد الثلاثة للخروج من حطام الهليوكوبتر ، وراح (شريف) يدلك ساقه فى ألم ، وهو يقول :

- ساقى سليمة .. يا إلهى ! تصورت لحظة أنها قد تحطمت .

زفرت (ريهام) ، قائلة :

- فلنحمد الله (سبحانه وتعالى) ألف مرة .. إننى لم أتوقع قط ، ما زلت أشعر بالدهشة ، على أننا قد خرجنا من هذا السقوط أحياء .

أجابها (علاء) ، وهو يزحف مرة أخرى داخل الهليوكوبتر :

- ارتطامنا بالأشجار المتقاربة خفف من وقع السقوط ، وقلة الوقود منع انفجار الهليوكوبتر .

سأله (شريف) فى عصبية :

- إلى أين تذهب ؟!

أجابه (علاء) :

- أبحث عن صندوق الإسعافات الأولية فى الهليوكوبتر . فكلاكما مصاب ، ويحتاج إلى تضميد جراحه ، قبل أن يصل إلينا هؤلاء الأوغاد .

سأله (شريف) فى توتر شديد :

- هل تعتقد أنهم سيأتون ؟!

أجابه فى حزم ، وهو يبحث عن الصندوق وسط الحطام :

- إنهم سيرصدون سقوطنا حتماً ، ومن الطبيعى أن يأتوا للتأكد من مصيرنا .

انعقد حاجبا (ريهام) ، وهى تقول :

ـ وأول ما سيفعلونه هو أن يفحصوا الحطام طبعاً .

ثم هتفت فى اهتمام :

ـ قل لى يا (عـلاء) .. أين يوجد خزان الزيت فى هذه الطائرة .

انتزع صندوق الإسعافات الأولية ، وتراجع به إليهم ، وهو يرتجف برداً ، ويقول فى ألم :

ـ يوجد خزانان للزيت ، أحدهما عند الذيل ، والثانى فى أعلى الهليكوبتر ، عند قاعدة المروحة الأساسية .

تألقت عيناها ، وتجمدت أنفاسها ، وهى تقول :

ـ عظيم .. ينبغى الإسراع بتضميد جراحى إذن ، فلدى عمل مهم أقوم به .

بدأ (علاء) فى تضميد جرح (شريف) ، الذى تأوَّه ، مغمغماً :

ـ رباه ! سنتجمدُ برداً ، قبل أن يصل أولهم إلينا .. ألا يمكننا أن نشعل ناراً .

هزَّ (علاء) رأسه فى قوة ، قائلاً فى حزم :

ـ النار سترشدهم مباشرة إلينا .

تأوَّه (شريف) مرة أخرى ، ثم أشار إلى حطام الهليوكوبتر ، قائلاً :

ـ اللاسلكى سيرشدهم إلينا أسرع ؛ فهذا النوع من الأجهزة يبث إشارة ثابتة منتظمة ، من خلال بطارية إضافية صغيرة ، حتى وهو مغلق

قالت (ريهام) فى حماس ، وهى تضمِّد بنفسها جرح عنقها :

ـ عظيم .. أنا بحاجة إلى هذه البطارية الإضافية الصغيرة .

تنتهي (علاء) من تضميد جرح (شريف) ، وهو ينتقل لمعاونتها ، قائلاً :

- إننا بحاجة إلى أشياء عديدة من الهليوكوبتر ، وإلا استقتلنا البرودة القارسة .

وراح يضمد جرحي ذراعها وكتفها ، متابعاً :

- ثم إنك و (شريف) تحتاجان إلى تدخل جراحي ، فالرصاصات ما زالت مستقرة ، في كتفك وفخذه .

تنهدت ، قائلة :

- الرصاصة تخرج من المسدس أو المدفع ملتهبة ، وهذا يجعلها معقمة ، خالية من أية جراثيم ، والبرودة القارسة ستمنع الجرح من الالتهاب أو التلوث ، وهذا يمنحنا بعض الوقت ، قبل أن ..

قاطعها (شريف) في توتر :

- قبل أن يظفر بنا رجال (إيفانوفيتش) .

كان (علاء) قد انتهى من تضميد جراح (ريهام) ، وهو يقول في حزم :

- ينبغي أن نحول دون هذا .

سألته (ريهام) ، وهي تبدأ بحثها عن خزان الزيت :

- لقد فقدت سلاحي هناك ، أما زلت تملك مدفعك .

هزّ (علاء) رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- كان من المحتم أن أتخلّى عنه ، لأتعلّق بالهليوكوبتر .

نهض (شريف) لمعاونتها ، وهو يقول :

- عظيم .. نحن إذن بدون أسلحة ، وسط الظلام والجليد ، والبرودة القارسة ، وننتظر خروج فريق من الأوغاد المسلحين ليبحث عنا ، وللقضاء علينا .

قالت (ريهام) فى حزم ، وهى تواصل بحثها :

ـ من المؤكد أنهم أكثر عددا وقوة يا عزيزى (شريف) ، ولكن تذكر ما لقنتنا إياه العميد (أدهم) ، فى أثناء فترة تدريباتنا القصيرة ، وما تدربنا عليه ، فى أثناء فترة الإعداد ، عن كيفية التعايش مع البيئة المحيطة .

خيل لـ (شريف) أن الأنفاس تتجمد فى صدره ، وهو يقول :

ـ أنتما تدربتما على هذا .. أنا مجرد مهندس مدنى .

قال (علاء) فى حزم ، وهو يحطم جهاز اللاسلكى ، وينتزع منه تلك البطارية الصغيرة ، ليناولها إلى (ريهام) :

ـ سنضع هذا فى اعتبارنا .

ومال ينتزع أغطية المقاعد الصوفية ، متابعا :

ـ وسنبحث عن كل وسيلة ، يمكن بوساطتها التغلب على متاعب البيئة القاسية ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يشرئب بعنقه ، فسألته (ريهام) فى توتر :

ـ ماذا هنالك ؟!

أشار بيده ، مجيبا :

ـ لقد بدءوا البحث .

استدارت مع (شريف) إلى حيث يشير ، ووقع بصرهما على أضواء مصابيح يدوية قوية ، تقترب من بعيد ..

ثم تناهى إلى مسامعهم نباح كلاب شرسة ..

وغمغم (شريف) فى عصبية :

ـ آه .. اكتملت الدائرة .

ألقى إليه (علاء) أحد الأغطية الصوفية ، قائلا :

ـ أظن أنه ينبغى أن نتحرك فورًا .

قالت (ريهام) فى حزم :

ـ ابتعدا أنتما ، واتخذا اتجاهًا ثابتًا ، بحيث يمكننى تعقبكما ، فما زال أمامى بعض الوقت ، حتى أتمّ عملى هنا .

قال (شريف) فى حدة :

ـ كلاّ يا (ريهام) .. نحن فريق واحد ، ولن نتصرف دونك .

هتفت به ، وأصابعها تعمل فى سرعة :

ـ تذكّر ما تعلمته يا (شريف) .. عندما تتعقّد الأمور ، لا مجال للعواطف .. لا يبدو أن تتصرّف على نحو عملى محض ، وإلا كانت الخسارة نصيبنا حتمًا .. هيا .. ابتعدا بقدر الإمكان ، وسأنهى عملى بأقصى سرعة ، وألحق بكما .. هيا .. اتبع القواعد ، ولا تمنح هؤلاء الأوغاد فرصة للظفر بثلاثتنا بضربة سخيفة واحدة .. هيا .

وجذبه (علاء) من ذراعه ، قائلاً فى حزم صارم :

ـ إنها على حق .. هيا بنا .

ثم التفت إلى (ريهام) ، متابعًا :

ـ سنتجه جنوبًا .. نحو الساعة الحادية عشرة .. الإشارة بصوت الرياح .. ثلاث مرات متعاقبة .

غمغمت فى توتر ، وهى تواصل عملها فى سرعة :

ـ علم .

هزّ (شريف) رأسه فى قوة ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ ما زال الأمر لا يروقنى .

أجابه (علاء) ، وهو يجذبه بعيدًا :

ـ سرعان ما تعتاده ..

لم تلتفت (ريهلم) إليهما ، وهما يغوصان فى قلب الجليد والظلام ، وشعرت بالبرد والألم فى أصابعها ، وهى تواصل عملها بأقصى سرعتها ، وتختلس النظر ، كل وهلة وأخرى ، إلى المصابيح اليدوية ، التى تقترب أكثر وأكثر ..

وجفَّ حلقها ، مع زمجرة الكلاب الشرسة ، التى بدت وكأنها تتعطش للانتقام لرفاقها ، الذين صرعتهم برصاصات المدفع الآلى ، وأراقت دماءهم على الجليد ، فى الحديقة الضخمة ، المحيطة بقصر (إيفانوفيتش) ..

كانت أصابعها تقوم بالعمل ، فى ذكاء وبراعة وخبرة ، مستغلة أبسط الخامات المتاحة ، كما تدربت دومًا ..

ونباح الكلاب مع ضوء المصابيح يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وأخيرًا ، أنهت عملها ..

ولم تكد تضع آخر لمساته ، حتى هبَّت واقفة ، وألقت نظرة أخيرة على أضواء المصابيح اليدوية ، التى أصبحت قاب قوسين أو أدنى منها ، وهى تغمغم :

ـ لو أن كل شىء على ما يرام ، فسيعطلهم هذا بعض الوقت حتمًا .

كانت إصاباتها تؤلمها بشدة ، والبرد يكاد يُجمِّد أطرافها ، فالتقطت أحد الأغطية الصوفية ، وألقته على كتفها ، وألقت نظرة على بوصلة الهليوكوبتر لتحديد الاتجاه ، الذى اتخذه رفيقاها ، و ...

« إلى أين ؟! » ..

ارتفعت العبارة فجأة بالإسبانية ، على مسافة متر واحد منها ، فالتفتت إلى مصدرها فى سرعة ..

ثم انعقد حاجباها فى شدة ..

فعلى الرغم من أن المصابيح اليدوية كانت تبعد عنها مايزيد عن الخمسين مترًا تقريبًا ، فقد كانت هناك فوهة مسدس قوية مصوبة إلى رأسها مباشرة ..

وخلف تلك الفجوة ، وجه آخر شخص تتمنى رؤيته ، فى مثل هذه الظروف ..

وجه (ميرا) ..

(ميرا بتروفا) .

* * *



٥ ـ أنياب الأفعى ..

«أهلاً مرة أخرى يا (أدهم) .. أنا (سونيا) .. »

نطقت (سونيا) العبارة فى سخرية ، عبر الهاتف الخاص ، فى حجرة مكتب (أدهم صبرى) ، فى المخابرات العامة ، قبل أن تضيف بشىء من الشماتة :

ـ تُرى هل تأكدت من صدق معلوماتى ، عن مذبحة (نيويورك) ؟!

أجابتها (منى) فى صرامة :

ـ (أدهم) ليس هنا يا (سونيا) .

حمل صوت (سونيا) كل دهشتها وغضبها ، وهى تهتف :

- (منى) ؟! ماذا تفعلين فى مكتب (أدهم) ؟! أين هو ؟!

قالت (منى) فى صرامة تحمل رنة ساخرة :

- (أدهم) سئم التحدث إليك يا (سونيا) ، وقرر أن يتجاهلك تمامًا ، وأسند إلى مهمة إبلاغك بأن أمرك كله لايعنيه ، وأنت تعلمين طبعًا كم يسعدنى أن أفعل .

أجابتها (سونيا) فى تحد :

- كلانا يعلم أنه من المستحيل أن يتجاهلنى (أدهم) تمامًا يا (منى) ؛ لأنه هناك رباط قوى يربطنى به .. رباط لا ينفصم أبدًا ..

لم تستطع (منى) منع نفسها من الضيق والغيرة ، وهى تقول :

- ربما شعر أنه مستعد للتضحية بكل عزيز لديه ، فى سبيل التخلص منك يا (سونيا) .

أطلقت (سونيا) ضحكة عابثة طويلة ، وهى تقول :

- عبارة حمقاء للغاية يا عزيزتى ، وخاصة عندما تنطقها إنسانة تعرف (أدهم) مثلك .

قالت (منى) فى صرامة شديدة :

- هنا تكمن قواعد اللعبة كلها يا (سونيا) .

سألتها (سونيا) فى حذر :

- أية لعبة ؟!

أجابتها (منى) فى سرعة :

- لعبة تشتيت الانتباه يا (سونيا) .. فلو أنك فعلاً هنا فى (مصر) ، لما كان من الطبيعى أن تلفتى انتباه (أدهم) مباشرة ، فى ذلك الفندق ، عند أهرامات الجيزة .. لقد استأجرت ممثلة بلجيكية محترفة ، تشبهك إلى حد كبير ، ومع

بعض أدوات التنكر ، وخبير محترف ، أصبحت نسخة طبق الأصل منك ، وبمعاونة رجالك ، تتبعتم (أدهم) ، حتى استقرّ فى تلك الفندق ، ثم خرجتِ هى ، وتطلعت إليه مباشرة ، قبل أن ينطلق بها رجالك مبتعدين .. ولأن المواجهة كانت سريعة ، تصوّر (أدهم) أنها أنت ، وبدأ يبحث عنك هنا ، وخاصة بعد اتصالاتك الهاتفية عبر هاتف الأقمار الصناعية الحديث ، الذى تستخدمينه ، والذى لم تُطرح بعد أجهزة تعقُّبه فى الأسواق .

صمتت (سونيا) لحظة ، قبل أن تقول فى سخرية :

ـ تخمين .. كل هذا مجرّد تخمين يا عزيزتى (منى) .

أجابتها (منى) فى حزم :

ـ كلانا يعلم أنه لامكان للتخمين والافتراضات فى عالمنا يا (سونيا) .. لقد راجعنا كل قوائم الوصول ، خلال الأشهر الثلاثة الماضية ، وتصوّرنا فى البداية أنك قد نجحت فى دخول (مصر) ، بجواز سفر بلجيكى زائف ، ولكن خبراءنا أكدّوا أن الجواز سليم تمامًا ، وعندما راجعنا الأمر ، مع السلطات البلجيكية نفسها ، أيقنا من أن صاحبته ممثلة بلجيكية مسرحية مغمورة ، وأنها غير موجودة فى (بروكسل) ، فى الوقت الحالى .

قالت (سونيا) فى سخرية عصبية :

ـ ألم يخطر ببالكم أننى قد انتحلت بالفعل شخصية تلك الممثلة المغمورة ، حتى يمكننى دخول (مصر) ، دون أن تدركوا ؟!

أجابتها (منى) فى تشفٍ ، فى نفس اللحظة التى دلف فيها خبير التعقب إلى حجرة مكتب (أدهم) :

- نعم .. جال هذا بخاطرنا فى البداية .

وحمل صوتها نبرة ساخرة مرة أخرى ، وهى تضيف :

- ولكننا عثرنا على تلك الممثلة المغمورة بالفعل .

لم تسمع صوت (سونيا) ، على الجانب الآخر ، فتابعت ، وهى تلتقط الورقة ، التى قدمها لها خبير التعقُّب :

- عثرنا عليها فى شقة صغيرة ، فى حى (مصر الجديدة) .. كانت تقيم باسم آخر ، وبجواز سفر فرنسى زائف ، ولكننا كشفنا أمرها ، وكشفنا معه لعبتك كلها .

قالت (سونيا) ، فى شىء من العصبية :

- ألم تضعوا احتمالاً واحدًا ، أن يكون كل هذا جزءًا من خطة تشتيت الانتباه التى تدعونها ؟!

أجابتها (منى) :

- كان هذا احتمالاً واردًا يا (سونيا) .

وانعقد حاجباها فى انفعال ، وهى تلقى نظرة على العبارة ، التى ينتهى بها تقرير خبير التعقُّب ، متابعة :

- لولا أن كشفنا موقع اتصالاتك يا (سونيا) .

أطلقت (سونيا) ضحكة ساخرة ، وهى تقول :

- هذا هو المستحيل بعينه يا عزيزتى .. أنا أعلم أى جهاز أستخدم بالضبط ، وكيف أن ..

قاطعتها (منى) فى صرامة :

- يبدو أنك قد نسيت أن (أدهم) يمتلك مؤسسة تكنولوجية كبرى يا عزيزتى ، وأن مؤسسته قد افتتحت ، منذ عدة أشهر ، عددًا من الفروع ، فى

العواصم الكبرى فى العالم ، ومنها (القاهرة) ، وأنهم قد نجحوا فى إنتاج جهاز خاص ، لتعقب هواتف الأقمار الصناعية ، ومن الطبيعى أن نحصل على نسخة تجريبية منه ، فى مثل هذه الظروف .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن تقول (سونيا) فى عصبية :

- لست أصدق حرفًا واحدًا من هذا .

أجابتها (منى) فى سخرية :

- حقًا ؟! وماذا لو أخبرتك أنك تتحدثين الآن من (إيطاليا) يا عزيزتى ؟!

لم تكن القصة التى روتها صادقة ، فقد نجح خبراء التعقب فى تحديد القمر الصناعى ، الذى يأتى منه البث فحسب ، ثم حددوا البلاد التى يمكن أن تطلق البث الرئيسى ، من هواتف الأقمار

الصناعية ، إلى هذا القمر ، ونقلوا كل هذا إلى قسم التحليل النفسى ، لتحديد الموقع الذى يمكن أن تختاره (سونيا) ..

ومن الواضح أنهم كانوا مصيبين تمامًا ..

وبمنتهى الدقة ..

فما أن نطقت (منى) العبارة ، حتى كادت (سونيا) تجنّ غضبًا ، حتى إنها لم تستطع النطق لنصف دقيقة كاملة ، جعلت (منى) تدرك أنها قد أصابت الهدف مباشرة ، فقالت فى ارتياح ظافر :

- وهذا يعنى أن لعبتك قد فشلت يا (سونيا) ..

صمتت (سونيا) بضع لحظات أخرى ، فى محاولة لازدراد غضبها وثورتها ، قبل أن تقول فى حدة شديدة :

- أين (أدهم) يا (منى) ؟!

قالت (منى) ساخرة :

ـ ليس هذا من شأنك .

سألتها بعصبية أكثر :

ـ أين ذهب ؟!

قالت (منى) فى صرامة :

ـ لن تتحدثى إليه أبدًا يا (سونيا) ، مهما حاولت .

قالت (سونيا) فى حدة :

ـ أنا واثقة من هذا ؛ لأنه لم يعد فى (مصر)

انعقد حاجبا (منى) فى توتر ، وهى تقول :

ـ استنتاج سخيف يا (سونيا) .

هتفت (سونيا) فى عصبية شرسة :

ـ بل ضربة صائبة يا (منى) .. كان ينبغى

أن أدرك هذا منذ البداية .. إنه لن يجلس فى (مصر) ، بعد تلك المذبحة فى (نيويورك) .

لم يكن خبر مذبحة (نيويورك) قد بلغ (منى) بعد ، فسرى توتر عنيف فى جسدها ، إلا أنها لم تحاول التعليق ، حتى لا تدرك (سونيا) هذا ، ثم إن هذه الأخيرة واصلت فى وحشية :

ـ ومن سوء حظك أنه هناك عدة وجوه للتكنولوجيا ، وكما أنها قد ساعدتكم على تعقبى ، ستساعدنى أيضًا على تعقُّب (أدهم) ، وتحديد وجهته .. وعندئذ ..

تضاعفت الوحشية فى صوتها وأسلوبها ، وهى تضيف :

ـ يمكنكم أن تنسوا أنه كان لديكم رجل مخابرات ، يحمل اسم (أدهم صبرى) .

قالتها ، وأنهت المحادثة فى عنف ، تاركة

(منى) خلفها ، وقلبها يخفق بمنتهى العنف ..

فمع حالة (أدهم) الصحية ، وظهور (سونيا جراهام) ، وغضبها الهادر هذا ، تضاعف شعورها بالخوف والقلق ، وبأن هذه العملية ربما تصبح أعنف عمليات (أدهم صبرى) .. وآخرها ..

* * *

عندما ابتسمت (ميرا) فى ظفر وتشفٍ ، وهى تصوب فوهة مسدسها إلى رأس (ريهام) ، وسط ثلوج (موسكو) ، بدت أشبه بأفعى رقطاء ، ظفرت أخيرًا بفريستها ، بعد جوع شديد ..

وبكل مشاعرها ، التى اكتست بجليد أعصابها ، قالت :

ـ سقطت فى قبضتى أيتها المصرية .. كان ينبغى أن تدركى أنه من المستحيل أن تفلتى من منظمتنا .

غمغمت (ريهام) فى توتر ، ورجال المنظمة يبرزون مع كلابهم المتوحشة ، من خلف جذوع الأشجار ، ويصوبون أضواء مصابيحهم الكاشفة إلى وجهها :

ـ الأمر لم ينته بعد يا (ميرا) .

جذبت (ميرا) إبرة مسدسها ، قائلة :

ـ أمامه ثانية واحدة لينتهى يا عزيزتى .

وألصقت الفوهة المثلجة بصدغ (ريهام) فى قسوة ، وهى تسألها :

ـ أين ذهب الآخران ؟!

تطلعت (ريهام) إلى حطام الهليوكوبتر لحظة ، قبل أن تجيب :

ـ لم يكن حظهما كحظى .. لقد لقيا حتفهما فى السقوط .

نظرت إليها (ميرا) فى شك ، ثم تلفتت حولها فى حذر ، قائلة :

- هل تتصورين منى أن أصدق هذا ؟!

أشارت (ريهام) إلى الحطام ، قائلة :

- يمكنك التأكد بنفسك .

مطت (ميرا) شفتيها ، وقالت :

- يا للسخافة !

ثم أشارت إلى الرجال ، قائلة فى صرامة :

- افحصوا الحطام .

رأت (ريهام) أربعة من رجال الحرس الخارق ، يندفعون نحو الحطام لفحصه ، مع كلابهم الشرسة ، ولحق بهم اثنان من طاقم الحراسة التقليدى ، فى حين ظل الباقون يحيطون بها ، ومدافعهم مصوبة إليها ..

وفى صرامة باردة ، قالت (ميرا) :

- فى نفس اللحظة ، التى سيثبت فيها مصرع رفيقيك ، سأمنحك فرصة اللحاق بهما ، برصاصة واحدة فى منتصف جبهتك .

قالت (ريهام) ، فى سخرية عصبية ، وهى تتابع ما يفعله الرجال عند الهليوكوبتر :

- يا لمشاعرك الرقيقة !

هتف أحد الرجال فى هذه اللحظة :

- لا توجد جثث هنا .

انعقد حاجبا (ميرا) ، وهى تقول فى غضب :

- أيتها الكاذبة الحقيرة .

مع آخر حروف كلماتها ، رفعت (ريهام) ذراعها ، لتحمى وجهها ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجرت القنبلة ، التى صنعتها (ريهام) ، ببراعتها الشديدة ، وأطاحت بكل من على مقربة منها ، من حرس عادى وخارق ، وكلاب شرسة ، وانطلقت موجة من التضاغط ، دفعت أمامها (ريهام) و(ميرا) ، والباقين ، فى عنف .

ولأن (ريهام) وحدها كانت تتوقّع الانفجار ، فقد كانت أول من استعاد توازنه ، وتماسك جأشه ، فقفزت واقفة على قدميها ، قبل أن يستعيد الباقون إدراكهم ، ثم انطلقت تعدو بأقصى قوتها وسرعتها ، وسط الظلام والجليد ..

وبسرعة ، قفزت (ميرا) تستعيد سلاحها ، وراحت تطلق رصاصاته خلف (ريهام) فى غزارة ، فى حين راح من تبقّى من رجال (المافيا) الروسية ينهضون فى سرعة ، وهتف أحدهم ، وهو يحلّ سلسلة آخر ما تبقّى من الكلاب المتوحشة :

ـ هيا .. خلفها .

خفضت (ميرا) مسدسها ، عندما رأت الكلبين المتوحشين ينطلقان خلف ريهام ، وغمغمت فى سخط :

ـ هيا .. مزقاها تمزيقًا .

وألقت نظرة على رجالها ، الذين مزّقهم الانفجار ، قبل أن تضيف فى غضب :

ـ بلا رحمة ..

كانت (ريهام) تعدو بأقصى سرعتها ، فوق الجليد الهش ، وهى تلهث بشدة ، وخلفها نباح الكلبين المتوحشين ، اللذين يقتربان بسرعة ..

ساقاها كانتا تغوصان فى الجليد ، وجسدها كله يشعر بآلام رهيبة ، وبرد قارس بلا حدود ، وأنفاسها تتلاحق ..



ثم استدارت تواجه الكلب المتوحش ، الذى انقض بأنيابه القوية ومخالبه الحادة ..

إنها لا تدرى ما إذا كانت تعدو فى الاتجاه الصحيح أم لا ...

ولكن الكلبين يلاحقانها فى شراسة ..

ولا وقت للتوقُّف والتأكُّد ..

العدو على الجليد ليس سهلاً أو يسيرًا ..

والإصابات تملأ جسدها كله ..

عنقها ..

كتفها .. ذراعها ..

و ...

وفجأة ، انقضَّ عليها أحد الكلبين ، وارتطم بظهرها فى قوة ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، فسقطت على وجهها فى عنف ، ثم استدارت تواجه الكلب المتوحش ، الذى انقضَّ بأنيابه القوية ومخالبه الحادة عليها ، وأنفاسه الكريهة تضرب

وجهها ، فى محاولته غرز أنيابه فى عنقها ، وهى تقاوم ..

وتقاوم ..

وتقاوم ..

ولكن الكلب الثانى انقضَ ..

وبمنتهى العنف والشراسة ..

وعندئذ ، أدركت (ريهام) أنه لم يعد هناك أمل ..

إنها النهاية حتمًا ..

نهايتها ..

* * *

« لقد كشفوا الأمر .. »

نطقت (سونيا) العبارة فى غضب عصبى ، أمام مستر (X) ، الزعيم الغامض للمنظمة الجديدة ،

فتراجع هو فى مقعده ، فى بطء ، خلف مكتبه الكبير ، وتساءل فى اقتضاب صارم :

ـ حقًا ؟!

أجابته فى عصبية ، وهى تُشعل سيجارتها الطويلة الرفيعة :

ـ لست أدرى كيف فعلوها .. إننى أستخدم أحد هواتف الأقمار الصناعية ، ومصادرنا تؤكد أنه ما من وسيلة لتعقُّبه بعد .

قال فى صرامة :

ـ التكنولوجيا المضادة تنمو فى سرعة مدهشة دائمًا .

قالت فى حدة :

ـ ولكن كل جواسيسنا ، فى المجال الصناعى ، أكدوا أنها لم تبرز إلى الوجود بعد ، حتى أولئك

الذين يعملون لحسابنا ، داخل مؤسسة (أميجو) نفسها .

صمت مستر (X) بضع لحظات ، قبل أن يميل إلى الأمام ، ويقول فى صرامة شديدة :

ـ كنت أعلم أن أسلوبك هذا سيعقّد الموقف حتمًا يا (سونيا) .. الفشل يتسرّب دائمًا ، من نافذة العواطف ، مهما بلغت قوة جدار العقل .. وفى عالمنا هذا ، لا أمور شخصية على الإطلاق .. العمل وحده هو الأولوية المطلقة .

قالت فى عصبية ، وهى تنفث دخان سيجارتها :

ـ ما فعلته لم يكن مبعثه العاطفة ، وإنما العمل وحده .. كنت أسعى لتشتيت انتباههم ، وتأكيد قوتنا فى الوقت ذاته .

قال فى غضب :

ـ ما أراه هو أنك قد وجهت أنظارهم إلى احتمال حدوث شىء ما .

قالت فى حدة :

ـ مهما بلغت عبقريتهم ، لن يمكنهم أبدًا أن يستنتجوا خطتنا الحقيقية .

قال فى صرامة :

ـ المصريون لهم مصادرهم وجواسيسهم أيضًا يا (سونيا) .

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قائلة فى توتر :

ـ خطتنا متقنة تمامًا يا مستر (X) .. حتى الذين سيقومون بها ، ما زالوا يجهلون تفاصيلها بالضبط .

وسألته فى عصبية :

ـ هل وصلوا إلى (مصر) بالفعل ؟!

أجابها فى حزم :

- (هانز) وصل إلى مطار (الإسكندرية) منذ ساعة ، على طائرة ألمانية ، بجواز سفر (هولندى) ، وسيستقل القطار إلى (القاهرة) ، حيث سنقوم بنقله إلى المنزل الخاص ، الذى سيدار منه الموقف كله ، و (نيكولاس) هناك بالفعل ، ولاريب فى أن المصريين يحيطونه بمراقبتهم الآن ، أما (شوكت) ، فهو فى طريقه إلى هناك بالفعل .

سألته فى توتر :

- وماذا عن الآخرين ؟!

أجاب :

- إنهم هناك منذ ثلاثة أيام ، وكل منهم يعرف دوره جيدًا .

سألته فى حنق :

- لست أرى مافائدة زعماء المنظمات الإرهابية الثلاثة إذن ، ما دام رجالنا هناك ، ويعرفون ماينبغى عليهم فعله تمامًا .

تراجع فى مكتبه ، وشبك أصابعه على سطحه ، قائلاً :

- فائدتهم لنا عظيمة يا (سونيا) ؛ فرجالنا هناك يحتاجون إلى من يتولى تنظيمهم وقيادتهم ، ولا يوجد أفضل من (هانز) فى هذا المضمار ، بحكم عمله السابق ، فى عصابات (باين ماينهوف) الإرهابية الشهيرة(*) ، و (شوكت) خبير فى تنظيم الشئون المالية ، فى الأعمال الانتحارية الضخمة المشابهة ، أما (نيكولاس) فوجوده ضرورة للغاية ، إذ إن يده المعدنية تمنحه تميزًا خاصًا ، وتستثير رجال الأمن ، فى كل بلد يذهب إليه ، ومن المؤكد أن خدعة مندوب مصنعى الأطراف

(*) منظمة إرهابية شهيرة بالفعل .

الصناعية الباريسيين هذه لن تخدع رجال الأمن فى (مصر) ، وأنهم سيراقبونه ويتتبعونه طوال الوقت ، منذ خروجه من المطار ، وسينشغلون بأمره تمامًا ، حتى يتمّ (هانز) و (شوكت) العملية .

سألته فى حذر متوتر :

ـ لو تمت العملية ، سيلقون القبض عليه فورًا .

هزّ كتفيه بلا مبالاة ، قائلاً :

ـ فليذهب إلى الجحيم .. المهم أن تنجح عمليتنا ، ويدرك المصريون أنهم يواجهون منظمة قوية بالفعل .

مطّت شفتيها ، وكأنما هناك ما لايروقها ، وهى تقول :

ـ وماذا عن (أدهم صبرى) ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يسألها فى صرامة :

ـ ماذا عنه هذه المرة ؟!

قالت فى عصبية :

ـ إنه ليس فى (القاهرة) .

تراجع فى مقعده ببطء ، وهو يسألها :

ـ وماذا فى هذا ؟! أليس هذا لصالحنا ؟!

قالت فى حدة :

ـ لا بد أن نعرف أين ذهب بالضبط .

سألها فى شىء من السخط :

ـ لماذا ؟!

نفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، قائلة :

ـ لن أشعر بالارتياح أبدًا ، وأنا أجهل أين هو ، فى هذه الفترة بالذات .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إليها فى غضب ، قبل أن يميل إلى الأمام ، ويقول فى صرامة شديدة :

ـ دعينى أكرر مرة أخرى يا (سونيا) .. كل شىء هنا يتعلق بالعمل .. والعمل وحده .. لا مجال للأمور الشخصية أو العواطف .

أطفأت سيجارتها فى حدة ، وهى تقول :

ـ ومن قال غير هذا ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يقول فى صرامة أكثر :

ـ اتركى أمر (أدهم) هذا الآن يا (سونيا) .. لقد أخبرتك أن مصادرنا تؤكد أن حالته الصحية غير مناسبة للعمل ، فى الوقت الحالى .

قالت فى عصبية ، وهى تشعل سيجارة أخرى :

ـ لا تطمئن إلى هذا كثيرًا .

قال فى غضب :

ـ أنا أثق بمصادرى تمامًا .

هتفت محنقة :

ـ وأنا لا أثق فى (أدهم صبرى) هذا أبدًا .

تراجع فى مقعده مرة أخرى ، وهو يقول بلهجة صارمة ، لا تقبل المناقشة :

ـ العمل وحده يا (سونيا) .

مطت شفتيها ، وهزت كتفيها فى عصبية ، وهى تتجه نحو الباب ، قائلة :

ـ فليكن .

راقبها فى صمت لحظة ، ثم قال فى صرامة :

ـ سؤال أخير يا (سونيا) .. هل كشف المصريون أنك لست فى (القاهرة) فقط ، أم حددوا موقعك أيضًا .

انعقد حاجباها ، ونفثت دخانها فى عصبية شديدة ، قائلة :

ـ لقد علموا أننى أتحدث من مكان ما فى (إيطاليا) ، ولكنهم لن يستطيعوا تحديد موقعنا بالتأكيد .

عبر صوته عن غضبه الهادر ، وهو يقول :

ـ هذا ما كنت أخشاه .

انعقد حاجباها فى شدة أكثر ، وهزت كتفيها فى عصبية بالغة ، وهى تغادر الحجرة ، وتصفق بابها خلفها فى قوة ، تاركة الزعيم الغامض خلفها ، يعقد حاجبيه على نحو أكثر شدة وغضبًا ، ويغمغم :

ـ لقد أصابها جنون أحمق .. الانتقام يعمى عينيها ، ويسيطر على مشاعرها كلها .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ وهذا يهدد كياننا كله بالخطر .

نطقها ، وفى رأسه تدور فكرة ما ..

فكرة عنيفة ..

وخطيرة ..

جدًا ..

* * *

لم تكن هناك وسيلة منطقية واحدة ، للنجاة من الموت ، فى مواجهة كلبين متوحشين ، مدربين على الفتك بضحيتهما ، بلا شفقة أو رحمة ..

وبمنتهى العنف ..

ولكن فجأة ، وقبل أن يغرس الكلب الأول أنيابه فى عنقها بلحظة واحدة ، التف حول عنقه حزام جلدى ، وجذبه بعيدًا عنها فى عنف ، فى نفس اللحظة التى هوت فيها ركلة عنيفة ، على وجه الكلب الآخر ..

وبكل دهشتها ، اعتدلت (ريهام) ، لتلقى نظرة على ما يحدث ..

وأمام عينيها ، رأت أحد الكلبين المتوحشين ينقضّ على (علاء) وهذا الأخير يمسك حزامه فى قوة ، وفى نهايته أنشوطة ، التفت حول عنق الكلب الثانى ، الذى يقاومها فى استماتة ..

وبقوة مدهشة ، وعلى الرغم من جرحه ، الذى ينزف مرة أخرى فى عنف ، جذب (علاء) الحزام فى قوة ، ليرفع الكلب المعلق بنهايته فى عنف ، ثم يديره فى الهواء ، ليضرب به الكلب الثانى ..

ولكن الكلب المدرّب تفادى الضربة ..

وانقضّ مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، ارتطم بصدر (علاء) ، وأسقطه معه على الجليد ، وهو يطلق زمجرة قوية غاضبة ، فى حين توقّف الكلب الثانى عن النباح ،

وتدلّى لسانه خارج فكه ، فى ألم مذعور ، والحزام يعتصر عنقه بلا رحمة أو هوادة ..

وبكل انفعالها ، انقضّت (ريهام) بدورها على الكلب الثانى ، الذى وجد نفسه يواجه خصمين دفعة واحدة ، فتضاعفت شراسته ووحشيته ، وراح يضرب بمخالبه يمنة ويسارًا ..

وفى نفس اللحظة ، التى لفظ فيها الكلب الأوّل أنفاسه الأخيرة ، على جليد (موسكو) ، كان (علاء) يحيط عنق الكلب الثانى بذراعه القوية ، ثم يعتصره ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

وهنا تحوّلت وحشية الكلب المدرّب إلى ذعر شديد ، وراح يضرب بمخالبه ..

ويضرب ..

ويضرب ..

ثم سمعت (ريهام) قرقعة مكتومة ، امتزجت بزمجرة ألم رهيبة .

وبعدها تهالك الكلب الثانى جثة هامدة ..

ودون أن يضيع لحظة واحدة ، تركه (علاء) يسقط ، وهو يمسك يد (ريهام) ، هاتفًا :

ـ هيا .. أسرعى ..

هتفت به لاهثة ، وهى تعدو إلى جواره :

ـ لماذا عدت ؟!

قال ساخرًا :

ـ كنت أتوقّع شكرًا .

هتفت بصوت خافت :

ـ إننى أدين لك بحياتى بالتأكيد ، ولكننى أشعر بالدهشة .. المفترض طبقًا للأوامر أن ...

قاطعها فى حزم :

ـ (شريف) وأنا عجزنا عن تنفيذ القواعد ، وتطبيق الأوامر ، ورأينا أنه من الخطأ أن نتركك تواجهين هذا وحدك .

سألته فى توتر :

ـ وأين (شريف) ؟! هل تركته وحده بعيدًا ؟!

قال فى توتر :

ـ بعيدًا ؟! كلاّ يا عزيزتى .. لقد رأينا ما حدث ، عندما نجحت قنبلتك ، وأطاحت بعدد كبير من الخصوم ، والكلاب الوحشية ، ورأيناك تهربين ،

والكلبين المتبقيين يطاردانك ، فى حين أخذت تلك الأفعى الروسية تصف ما حدث لزعيمها ، عبر جهاز اتصال لاسلكى محدود ، لذا فقد قدرنا أن أفضل مكان نختبئ فيه الآن ، هو نقطة الهبوط نفسها .

هتفت بدهشة :

ـ عند الحطام .

أجاب فى حزم :

ـ بالضبط .

أرادت أن تعترض ، إلا أنها لم تلبث أن انتبهت إلى أن فكرته بارعة وعبقرية للغاية .. فبعدما حدث ، سينطلق الكل لمطاردتها وسط الأشجار ، وللبحث عن زميليها ، ولو أن ثلاثتهم عادوا إلى منطقة الهبوط ، لن يخطر هذا ببال أحد لفترة طويلة ..

حتى يمكنهم تحديد خطوتهم التالية على الأقل ..

فى نفس اللحظة ، التى جال فيها الأمر بخاطرها ، فإن حاجبا (ميرا) ينعقدان فى غضب شديد ، وهى تتطلع إلى الكلبين الصريعين ، قائلة :

ـ يا للأوغاد !!

ثم ضغطت زر جهاز اتصالها المحدود ، قائلة :

ـ سيد (إيفانوفيتش) .. لقد فقدنا آخر كلابنا المدربة .

أتاها صوت (إيفانوفيتش) ، وهو يقول فى غضب :

ـ وماذا عن الفتاة ؟!

أجابته فى توتر ، تسلل من خلف برودها الأسطورى :

ـ ليست هنا .. من الواضح أنها لم تفعل هذا وحدها .

صمت لحظة ، ثم سألها فى غضب :

ـ كم تبقّى معك من الرجال ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ واحد فقط من الحرس الخارق ، وأربعة من الآخرين .

سألها فى عصبية :

ـ وماذا عن الباقين ؟!

أجابت فى ضيق :

ـ كلهم لقوا حتفهم ، مع ذلك الانفجار الـ ..

قاطعها فى حدة :

ـ أغبياء .

قالت محاولة تبرير الموقف :

لم يتوقّع أحد ما فعلوه يا زعيم .. من الواضح أن أحدهم خبير متفجرات محترف ، ولكننا لن نتركهم .. سننبش الغابة كلها بحثًا عنهم ، و ..

قاطعها مرة أخرى ، فى صرامة شديدة :

ـ هل تركت الجثث هناك ؟!

أجابته فى حذر :

ـ بالتأكيد .. ليس لدينا وقت لـ ..

للمرة الثالثة ، قاطعها فى صرامة ، قائلاً :

ـ إنهم هناك .

قالت فى دهشة :

ـ ماذا ؟!

أجابها بلهجة آمرة صارمة :

ـ اجمعى الرجال ، وعودوا فورًا إلى حطام الهليوكوبتر .. لو أنهم أذكياء كما يبدون ، فهذا أفضل مكان يذهبون إليه الآن ؛ فهناك سيجدون المعاطف الثقيلة ، التى تقيهم البرد القارس ، والأسلحة التى تركتموها خلفكم مع الجثث .. بل

وسيجدون ما هو أفضل .. أزياء الحرس الخارق ، المضادة للرصاص .

قالت فى توتر ملحوظ هذه المرة :

ـ ولكن ثياب الحرس الخارق لا يمكن انتزاعها ، دون الجهاز الخاص بهذا ، أما الأسلحة ، فهى خاصة جدًا ، ولن يمكنهم استخدامها قط .

قال فى صرامة :

ـ ولكنهم يجهلون كل هذا .

ثم أضاف بصرامة شرسة غاضبة :

ـ لا تضيعى لحظة أخرى إضافية .. هيا عودى إلى منطقة الحطام مباشرة .. هيا .

سألته وهى تشير إلى الرجال :

ـ ماذا نفعل بهم ، إذا ما وجدناهم هناك ؟!

أجاب بنفس الصرامة الشرسة :

ـ ستجدينهم هناك .. والأوامر لم تتغيَّر .. اقتلوهم فورًا ، ودون إنذار .

قالت فى حزم :

ـ بكل سرور .

وعندما أنهت الاتصال ، كانت ومن تبقى من الرجال قد بدءوا تحركاتهم بالفعل ، للعودة إلى حطام الهليوكوبتر ، ومحاصرته ، وقتل أبطالنا الثلاثة هناك ..

بل سحقهم سحقًا ..

دون إنذار .

* * *



٦ ـ الفـــخ ..

بذل الدكتور (رأفت) قصارى جهده ، ليقف متماسكًا ، أمام (إيفانوفيتش) ، الذى بدا صارمًا عصبيًا ، وهو يستقبله فى حجرة مكتبه الكبيرة ، قائلاً :

ـ (رأفت) .. ستغادر (موسكو) فورًا .

امتقع وجه الرجل ، وهو يسأله مذعورًا :

ـ فورًا ؟! ولماذا ؟! إننى لم ..

قاطعه (إيفانوفيتش) ، على نحو يشف عن أنه غير مستعد لإضاعة ثانية واحدة :

ـ المطار مغلق ، بسبب سوء الأحوال الجوية ؛ لذا فستقلك سيارة رباعية الدفع إلى (موسكو) ، ومن هناك سيحملك قطار خاص إلى (منسك) ،

حيث ستحملك طائرة صغيرة إلى حدود (بولندا) ، وستجد هناك أحد رجالنا ، الذى سينقلك إلى (وارسو) ، لتستقل الطائرة إلى (القاهرة) مباشرة .

بدت دهشة مذعورة على وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ ولماذا هذه الرحلة المرهقة ؟! ألا يمكننا أن ننتظر تحسُّن الأحوال الجوية ، و ..

قاطعه بصرامة مخيفة :

ـ كلاَّ .

ثم انعقد حاجباه الكثَّان ، على ذلك النحو ، الذى يجعله أشبه بالشيطان ، وهو يضيف فى غلظة :

ـ خدعة المصريين جعلت الأمور مرتبكة إلى حد كبير ، وغيَّرت الكثير من خططى ، وهذا يحتاج

إلى تحرك عاجل ، ومتقن ، وسريع ، فالاستقرار على القمة يحتاج إلى يقظة دائمة .

قال (رأفت) فى عصبية :

ـ ولكنك لم تخبرنى بعد ، ما الذى ينبغى أن أفعل ؟!

زمجر (إيفانوفيتش) ، قائلاً :

ـ لقد أخبرتك .

وعلى الرغم من الصرامة الشديدة ، التى نطق بها عبارته ، والتى أوحت بأنه سيكتفى بها تمامًا ، إلا أنه تابع ، فى شىء من العصبية :

ـ عندما تصل إلى (مصر) ، ستتوجّه مباشرة إلى المخابرات العامة هناك ، لتخبرهم أنك ، فى أثناء وجودك فى (روسيا) ؛ لحضور حفل الخريجين بجامعة (موسكو) ، التى حصلت

منها على شهادة الدكتوراه ، وقعت على معلومات بالغة الخطورة ، عن طريق عميل منشق ، عن أحد منظمات الجاسوسية الكبرى ، وأنه قد أبلغك ما لديه ، قبل أن يلقى مصرعه ، وطلب منك تحذير رئيس الجمهورية المصرى شخصيًا .

هزّ (رأفت) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لن يسمحوا لى بهذا أبدًا .

أجابه فى صرامة :

ـ هذا سيتوقّف على قدرتك على أداء دورك ، وعلى قدرتك على إقناعهم بخطورة ما لديك من معلومات ، وخاصة عندما تشير إلى أن هذه المعلومات تتعلّق بهجوم إرهابى منتظر ، على وزير الدفاع المصرى .

اتسعت عينا (رأفت) فى رعب ، وهو يهتف :

- وزير الدفاع ؟! هل جننت يا رجل ؟! لن يصدقوا هذا أبدًا !

صاح به (إيفانوفيتش) فى شراسة :

- بل سيصدقوه .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه ، قبل أن يكمل فى صرامة :

- لأن الإسرائيليين سيبلغوهم بالأمر نفسه .

اتسعت عينا (رأفت) مرة أخرى ، وهو يقول :

- الإسرائيليون ؟! كيف ؟!

أجابه الروسى فى شراسة :

- بعضهم سيبلغ الإسرائيليين بوجود مؤامرة ، لاقتحام وزارة الدفاع المصرية ، فى أثناء وجود الوزير ، واغتياله ، بوساطة فرقة من الانتحاريين ،

وعلى نحو يشبه تمامًا أسلوب الفرق الانتحارية الإسرائيلية ، كوسيلة للإيقاع بين الدولتين ، واستعادة حالة الحرب بينهما .. ولأن الإسرائيليين هم المستفيدون رقم واحد ، من حالة السلم هذه ، التى تؤمّن لهم الكثير من الاستقرار ، فسيسارعون بإبلاغ المصريين بالأمر ، ولكن دون أن تكون لديهم أية أدلة أو معلومات مؤكدة ؛ وعندما تظهر أنت ، فى هذه اللحظة ، وتشير إلى الأمر نفسه ، مصرًا على ألا تلقى ما لديك ، إلا على مسامع رئيس الجمهورية نفسه ، سيصبحون مضطرين للموافقة ، ولتدبير لقاء بينك وبين رئيسهم .

هتف (رأفت) :

- لن يكون هناك مبررٌ واحد لهذا .. ربما يحاولون الضغط علىّ ، أو حتى إجبارى على البوح بما لدى ، ولكنهم لن يسمحوا لى بمقابلة الرئيس أبدًا .

قال (إيفانوفيتش) فى صرامة :

ـ حجتك ستقنعهم حتمًا ، لأن المعلومات التى حصلت عليها ، قبل أن يلقى ناقلها مصرعه ، تؤكد وجود خائن وعميل ، فى الصفوف الأولى للمخابرات المصرية ، لذا فأنت تصر على إبلاغ الرئيس نفسه بالأمر ، ثم إن ملفك لديهم نظيف تمامًا ، مما سيدفعهم إلى محاولة تحقيق مطلبك ، ورئيسهم نفسه لن يجد غضاضة فى هذا ، عندما يتعلق الأمر بحياة وزير الدفاع ، وبإفساد خطة إرهابية عنيفة كهذه .

صمت (رأفت) فى توتر :

ـ وما المعلومات التى سأخبرهم بها ، والتى تستحق كل هذا ؟!

ناوله (إيفانوفيتش) مظروفًا مغلقًا ، وهو يقول :

ـ ستجد كل شىء هنا .. حجم الأسلحة ، وأنواعها ، وقوتها ، وأسماء زعماء العملية .. وستجد أيضًا موعد ومكان تسليم صفقة الأسلحة داخل (مصر) .. احفظ كل هذا عن ظهر قلب ، ثم احرق الورقة كالمعتاد .. هل تفهم ؟!

التقط (رأفت) المظروف ، ودسّه فى جيبه باستسلام ، مغمغمًا :

ـ نعم .. أفهم .

ناوله (إيفانوفيتش) ساعة يد أنيقة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ عندما تذهب للقاء الرئيس .. ارتد هذه الساعة .

شحب وجه (رأفت) فى شدة ، وهو يقول مذعورًا :

ـ لا .. المصريون ليسوا أغبياء ، وسيكشفون جهاز التنصّت هذا فورًا .

شدّ الروسى قامته ، وهو يقول صارمًا :

إنه ليس جهاز تنصّت .

سأله فى قلق :

ـ ما هو إذن ؟!

بدا الروسى ثائرًا بشدة ، وهو يصرخ فى وجهه :

ـ نفذ الأوامر فحسب .

امتقع وجه (رأفت) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا (إيفانوفيتش) .. بالتأكيد .

أشار الروسى إلى أحد رجاله ، قائلاً فى حدة :

خذه إلى السيارة .

اصطحب الرجل الدكتور (رأفت) ، متجهًا إلى الباب ، ولكن (إيفانوفيتش) استوقفه بهتاف صارم :

ـ دكتور (رأفت) .

استدار إليه (رأفت) بوجه ممتقع شاحب ، فتابع فى شراسة :

ـ فى المرة القادمة ، عندما تتحدّث إلىّ ، خاطبنى بلقب (الزعيم) ، وليس باسمى مجردًا .. هل تفهم ؟!

ازداد شحوب وجه (رأفت) وامتقاعه ، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا أبى .. أيها الزعيم .. كما تأمر .

أشار إليه الروسى بيده ، قائلاً :

ـ هيا .. اذهب .

تابعه ببصره ، حتى غاب خارج حجرته ، ثم عاد إلى جهاز الاتصال المحدود ، وتطلع إليه فى ترقّب ، منتظرًا الخبر الذى سيحسم أمر المصريين الثلاثة .. إلى الأبد ..

* * *

« لا يوجد سوى معطفين فقط .. »

غمغمت (ريهام) بالكلمة ، وهى تنتزع المعطف السميك ، الذى كان يرتديه أحد رجال (المافيا) الروسية ، فى حين فرك (شريف) كفيه فى قوة ، فى محاولة لبث الدفء فيها ، وخرجت أبخرة الجليد من بين شفتيه ، وهو يقول :

ـ من الواضح أن تلك الثياب المضادة للرصاص أشبه بثياب رواد الفضاء ، لأن الحرس الخارق لا يرتدى سواها ، على الرغم من البرودة القارصة .. إنها مكيّفة الهواء على الأرجح ، ولكننى لا أجد أيه وسيلة لانتزاعها عنهم .. أراهن أنهم يستخدمون أجهزة خاصة لهذا .

ناوله (علاء) أحد المعطفين ، قائلاً :

ـ ارتد هذا أولاً ، قبل أن تتجمّد أطرافك .

ناوله (علاء) أحد المعطفين ، قائلاً :
ـ ارتد هذا أولاً ، قبل أن تتجمّد أطرافك ..

تطلع (شريف) إلى (ريهام) ، التى ترتدى معطفًا آخر ، وقال فى توتر :

ـ وماذا عنك ؟!

ابتسم (علاء) ، وهو يقول :

ـ سأرتدى معطف أول وغد أنسف رأسه .

دسّ (شريف) جسده فى معطف الفراء السميك ، وبدأ الدفء يتسلّل إلى جسده بالفعل ، وهو يلتقط أحد المدافع الآلية ، ويفحصه جيدًا ، قبل أن يديره نحو (علاء) ، قائلاً :

ـ هل تتصوّر أنك ستقتلهم بهذا ؟!

قالها ، وضغط زناد المدفع فى حزم ، فهتفت (ريهام) مذعورة :

ـ ماذا تفعل أيها الـ ..

بترت عبارتها دفعة واحدة ، عندما لم تنطلق من المدفع رصاصة واحدة ، فهتفت فى دهشة :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

بدا الضيق على (علاء) ، وهو يجيبها :

ـ أحدث نوع من الأسلحة الشخصية .. مدافع آلية قوية ، لا يمكن أن تعمل إلا مع صاحبها وحده .

قالت فى دهشة :

ـ ولكنهم جميعًا يرتدون قفازات سميكة ، اتقاءً للبرد ، ومن المستحيل أن تستخدم الأسلحة بصماتهم لتعرُّفهم .

أشار (شريف) إلى مربع يشبه الآلات الحاسبة الصغيرة ، أسفل ماسورة المدفع ، وهو يقول :

ـ الأمر هنا يختلف . فهذه المدافع تستخدم شفرة تشغيل سرية ، من ثلاثة رموز فحسب ، وينبغى إدخالها فى سرعة ، قبل ضغط الزناد لأول مرة ، وستستمر فاعليتها ، حتى يترك

حاملها مقبضها ، فتعود إلى حالة الكمون ، ولابد من إدخال الشفرة مرة ثانية ، قبل إعادة استخدامها .

قالت بدهشة أكبر :

ـ عجبًا ! وماذا لو فاجأنى خصم ما ؟! هل أدخل الشفرة أولاً ، قبل أن أصد هجومه ، أم بعد الوفاة مباشرة ؟!

هزَّ (شريف) رأسه ، قائلاً :

ـ يمكنك إلغاء شفرة التشغيل السرية ، إذا ما أردت هذا ، ولكن ،لكى يستجيب المدفع للإلغاء ، لا بد أن تدخلى الشفرة أولاً ، ثم تضغطى رقم صفر بعدها .. ولا أحد يفعل هذا ، إلا بعد أن تنتهى مهمته تمامًا ، أما فى أثنائها ، فهو لا يفلت مقبض مدفعه قط ، مهما كان الثمن .

وقال (علاء) :

ـ إنها وسيلة لمنع الخصم من الإفادة من سلاحك ، فى حالة مصرعك ، أو اضطرارك إلى التخلّى عنه .

تطلّعت إلى الأسلحة فى يأس ، مغمغمة :

ـ هذا يعنى أننا لن نستطيع استخدامها أيضًا .

فحص (شريف) المدفع الآلى فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـ أعتقد أننا لو ..

لم يتمّ عبارته ، وهو يواصل فحص المدفع لبعض الوقت ، ثم لم يلبث أن زحف نحو حطام الهليوكوبتر ، مغمغمًا :

ـ أعتقد أنهم يحتفظون أيضًا بصندوق أدوات صيانة .

كان يبحث عن صندوق الأدوات فى اهتمام ، عندما قالت (ريهام) لـ (علاء) فى قلق :

- يمكننا أن نتبادل هذا المعطف ، فوجهك يبدو مزرقًا ، من شدة البرد ، و ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، أضيئت فجأة المصابيح اليدوية من حولهم ، وانطلقت ضحكة ظافرة من (ميرا) ..

ثم دوت معها طلقات المدافع الآلية ..

ومن موقعه ، رأى (شريف) الرصاصات ترتطم بظهر (ريهام) فى عنف ، وتنتزعها من مكانها ، لتصطدم بزميلها (علاء) ، ثم يسقط الاثنان على مسافة نصف المتر من عينيه اللتين اتسعتا عن آخرهما فى ارتياع ..

واحتبست فى حلقه صرخة قوية ..

صرخة حبستها رهبة الموقف ..

وبشاعة الموت ..

* * *

ضغط الجنرال السابق (مارك كروجر) ، مدير عمليات المنظمة الجديدة ، فى (أوربا) والشرق الأوسط أزرار جهاز الكمبيوتر ، وهو يتطلع إلى شاشته فى اهتمام ، مغمغمًا :

- المفترض أن ترضى هذه الرسالة الزعيم .. أظن كل شىء يسير على ما يرام الآن .

قبل أن تنتهى كلماته ، أضيئت الشاشة ، وظهرت على سطحها صورة شخص يجلس خلف مكتب كبير ، والضوء يأتى من خلفه مباشرة ، ليخفى وجهه تمامًا عن المشاهد ، وبدا صوته آليًا عميقًا ، وهو يسأل :

- ماذا لديك يا كروجر ؟!

أجابه الجنرال فى سرعة واحترام :

- كل شىء يسير على ما يرام يا مستر (X) .. زعماء المنظمة الثلاثة استقروا فى (القاهرة) ..

(نيكولاس) فى ذلك المنزل ، الذى توليه أجهزة الأمن المصرية اهتمامها وتحيطه بمراقبتها ، و (شوكت) و(هانز) فى المنزل الآخر ، الذى ستدار منه العملية كلها .

سأله مستر (X) فى اهتمام :

ـ متى سيتم استلام شحنة الأسلحة ؟!

أجابه (كروجر) :

ـ مساء بعد غد السبت ، ولكن (إيفانوفيتش) لم يحدِّد مكان التسليم بالضبط .

صمت مستر (X) بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ (إيفانوفيتش) هذا لا يروق لى أبدًا .. إما أنه حذر أكثر مما ينبغى ، أو خبيث أكثر مما تتصوَّر .

قال (كروجر) فى اهتمام :

ـ إنها صفقة كبيرة للغاية يا مستر (X) ، ومن الطبيعى أن يكون حذرًا للغاية .

قال الزعيم ، بذلك الصوت الآلى ، المنبعث من الكمبيوتر :

ـ إننى أحاول إقناع نفسى بهذا .

وصمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

ـ هل جمعت معلومات كافية ، عن مذبحة (نيويورك) ؟!

أجابه (كروجر) فى سرعة وحماس :

ـ الكل يؤكِّد أن (إيفانوفيتش) فعلها ، كمحاولة لضمان السيطرة الكاملة ، على كل التنظيمات المماثلة ، أو كوسيلة ليدرك الجميع أن (المافيا) الروسية هى الأكثر قوة على الساحة .

مال مستر (X) إلى الأمام ، متسائلاً فى اهتمام بالغ :

- هل يوجد أى دليل على هذا ، بخلاف رجاله ، الذين لقوا مصرعهم هناك ، فى (نيويورك) ؟

قال (كروجر) فى دهشة :

- ألا يكفى هذا ؟!

هزّ (X) كتفيه ، قائلاً :

- الرجال يمكن شراؤهم أو رشوتهم ، للعمل لحساب أية جهة أخرى ، وربما يكون المقصود هو تحطيم العلاقة بين المنظمتين ، لصالح طرف ثالث ، لم يفصح عن نفسه بعد .

تساءل (كروجر) فى حيرة :

- طرف مثل من ؟! لا توجد عشرات المنظمات القوية فى العالم .. لسنا نعرف سوى (المافيا) الإيطالية ، و (الياكوزا) اليابانية ، والصينيون ، ونحن ..

أشار (X) بسبابته ، وذلك الصوت المعدنى الآلى ، يقول :

- لا تنس أجهزة المخابرات الكبرى ، التى ربما يفيدها بزوغ صراع دموى ، بين المنظمتين .

بدت حيرة أكثر على وجه (كروجر) ، وهو يسأل :

- وما مصلحتها فى هذا ؟!

تراجع (X) ، قائلاً :

- من يدرى ؟!

وصمت بضع لحظات ، مفكرًا فى عمق ، قبل أن يتابع :

- فلنترك هذا التحليل للزمن حاليًا ، ولنول كل اهتمامنا لعمليتنا الكبرى ، و ..

توقف لحظة أخرى ، ثم أضاف فى حزم :

- وهناك عملية أخرى ، أريد منك أن تستعد للقيام بها صباح الغد .

اعتدل (كروجر) فى انتباه شديد ، وهو يتساءل :

- أية مهمة ؟!

أجابه (X) ، فى حزم صارم :

- السيدة (كاترين) ، مساعدتى الأولى ، وشريكتى فى المنظمة ، ستصل إليك فى (باريس) صباح الغد ، للقيام ببعض الإجراءات الخاصة بالعمليات القادمة ، وعندما تأتى .. أريد أن تقوم معها بعمل خاص .. خاص جداً .

قال (كروجر) فى قلق :

- أنا رهن إشارتك يا سيدى .

مال (X) مرة أخرى إلى الأمام ، وهو يقول :

- عظيم .. استمع إلىّ جيدًا إذن .

وعندما بدأ (X) يشرح المطلوب ، اتسعت عينا (كروجر) فى ارتياع شديد ، وسقط فكه الأسفل فى ذهول ..

فما يطلبه منه (X) لم يكن متوقعًا !!

بل كان مفاجئًا ومذهلاً ..

إلى حد مخيف ..

* * *

لم تصدق (ميرا) نفسها ، عندما انتهى الأمر بهذه السرعة والبساطة ..

لقد عادت مع من تبقى من الرجال إلى حيث سقطت الهليوكوبتر بالفعل ..

وأدركت كم كان زعيمها عبقريًا ..

لقد وجدت (ريهام) و (علاء) هناك ..

وبإشارة منها ، أحاط الرجال الخمسة بالمكان ..

ثم أطلقوا النار دفعة واحدة ..

وأمام عينيها ، رأت الرصاصات تصيب (ريهام) ، ثم تدفعها نحو زميلها ، ويسقطان معًا أرضًا فى عنف ..

ولثوان ، توقفت مع الكل فى دهشة ..

كانوا يتوقعون قتالاً أو مقاومة عنيفة ..

ولكن الأمر انتهى كله فى لحظة واحدة ، وببضع رصاصات ..

وفى اهتمام ، تلفّتت (ميرا) حولها ، قائلة :

ـ أين الثالث ؟!

أجابها الحارس الخارق المتبقّى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا يوجد سوى اثنين .. يبدو أن الثالث لم يحتمل البرد القارس طويلاً .

أدارت عينيها مرة أخرى فى المكان ، فى حذر متوتر ، قبل أن تشير بمسدسها قائلة فى صرامة :

ـ تأكّدوا من مصرعهم ، قبل أن نبلغ الزعيم .

اتجه أحد الرجال إلى حيث سقط (علاء) و (ريهام) ، فى حذر شديد ، وانحنى يفحص (ريهام) ، فى حين تطلّعت (ميرا) إلى جثث رجال (المافيا) والحرس الخارق ، الذين قتلهم الانفجار ، وانتبهت فى تلك اللحظة فقط ، إلى أن أحدًا قد انتزع معطفى الحارسين العاديين ، اللذين لقيا مصرعهما ..

إذن فالمصرية كانت ترتدى معطف أحد الرجال ..

واعتدلت (ميرا) بحركة حادة ، وهى تغمغم فى عصبية :

ـ المعاطف المضادة للرصاصات ؟!

ثم هتفت بالرجل ، الذى لمس ظهر (ريهام) بالفعل :

ـ احترس .. إنها لم ..

قبل أن تتمم هتافها ، كانت (ريهام) تتحرك بسرعة البرق ، فتثب من مكانها ، لتركل الرجل فى وجهه بعنف ، فى نفس اللحظة التى هبَّ فيها (علاء) واقفًا ، ثم انقضّ على الرجل انقضاضة مباغتة ، ودفع يده من أسفل أبط الرجل الأيسر ، ودفع ذراعه كلها بحركة عنيفة ، ثم أدار قبضته ، ليقبض بها على مؤخرة عنق الرجل ، فى نفس الوقت الذى قبض فيه على يده اليمنى من الخلف ، ودسّ سبّابته فوق سبّابة الرجل ، على زناد المدفع ، ورفعه ليطلق به النار على الآخرين ، هاتفًا :

ـ مفاجأة .. أليس كذلك ؟!

لم يدر (علاء) ، وهو يفعل هذا ، أنه يستعيد نفس الحركة ، التى واجه بها أستاذه (أدهم صبرى) موقفًا مماثلاً ، فى أحراش (كومانا)(*) ..

ولقد انطلقت رصاصات مدفع الرجل ، نحو (ميرا) ، وزملائه الثلاثة ، والحارس الخارق .. وبسرعة مذهلة ، ورد فعل مدهش ، وثبت (ميرا) جانبًا ، متفادية الرصاصات ، ثم تدحرجت خلف جزع شجرة ضخم ، فى نفس اللحظة التى نسفت فيها رصاصات (علاء) رأس رجلين من رجال (المافيا) الروسية ، وانهالت رصاصات الثالث والحارس الخارق على الرجل ، الذى يمسك به (علاء) ، ويشلّ حركته فى قوة ..

فى البداية ، ارتدّت الرصاصات عن معطفه الواقى ، إلا أن بعضها وجد سبيله إلى وجهه ،

(*) راجع قصة (الصحوة) .. المغامرة رقم (١٢٧)

ونسف جمجمته ، لتتناثر بقايا العظام والمخ والدم على وجه (علاء) وعلى (ريهام) ، التى ألقت نفسها أرضًا ، لتتفادى سيل الرصاصات ، المنهمر من الجانبين ..

وبمنتهى الشراسة ، واصل الثالث والحارس الخارق إطلاق نيرانهما ..

وعلى الرغم من أن الرجل ، الذى يمسك به (علاء) ، قد أصبح جثة هامدة بالفعل ، إلا أن هذا الأخير ظلّ ممسكًا به فى قوة ، ليصنع منه درعًا تتلقى الرصاصات عن جسده ، وهو يدير المدفع نحو الحارس الثالث ، ويطلق النار على ساقيه فى عنف ..

وعندما سقط الرجل على ركبتيه ، وهو يطلق صرخة ألم هائلة ، وسط جليد (موسكو) ، اخترقت رصاصات المدفع ، الذى يتحكم فيه (علاء) رأسه ، ونسفته نسفًا ، فهوى جثة

هامدة ، وتدفقت دماؤه على الجليد الأبيض فى غزارة ، و ...

وفجأة ، انهالت رصاصات الحارس الخارق على مدفع (علاء) ..

كان زيه الخاص ، الذى يتكلف ثروة طائلة ، قد حماه من الرصاصات المتطايرة فى كل مكان ..

ثم إنه كان يعرف أين يطلق النار بالضبط ..

ولقد أصاب هدفه بمنتهى الدقة ..

وفى لحظة واحدة ، نسفت رصاصاته وحدة التحكم الإليكترونى ، فى المدفع الذى يمسك به (علاء) ..

وتوقف المدفع دفعة واحدة ..

وفى صرامة شديدة ، قال الحارس الخارق ، وهو يتقدم نحو (علاء) :

ـ من سوء حظك أن هذه المدافع لا تطلق الرصاصات فحسب ، ولكنها مزوّدة بقنابل قنابل أيضًا .. الزملاء لم تتح لهم فرصة استخدامه ، مع المباغتة وعنف القتال ، ولكنك الآن أعزل ، ولدى ما يكفى من الوقت لاستخدامه .

قالها ، وهو يواصل تقدُّمه ، وأصابعه تضغط أزرار وحدة التحكُّم الإليكترونى ، متابعًا فى غضب شرس ، من خلف الخوذة الداكنة ، التى تخفى ملامحه كلها ، وتمنح صوته عمقًا ورنينًا مخيفين :

ـ ربما يحميك جسد (بوريس) ومعطفه من الرصاصات ، ولكنه لن يحميك أو يحمى رفيقتك من القنبلة حتمًا .. حتى زينا القوى لايمكنه احتمالها .

غمغمت (ريهام) من مخبئها :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما الحارس الخارق ، فقد توقَّف ، قائلاً :

ـ الوداع أيها المصرى الأحمق .

وأدرك (علاء) أن الرجل على حق ..

لن يحميهم أى شىء من قنبلة مباشرة كهذه ..

أى شىء .

* * *



٧ ـ انفجار..

اعتدل (هانز) فى انتباه ، مع رنين جرس باب تلك الفيلا الصغيرة الأنيقة ، فى قلب حى (المعادى) ، واختطف مسدسه بحركة حادة ، وهو يشير إلى (شوكت) فى صرامة ، قبل أن يقفز إلى الباب ، قائلاً فى خشونة ، وبلغة هولندية سليمة :

ـ من القادم !!

أتاه صوت هادئ ، يقول بالألمانية :

ـ تحياتى من الجنرال (كروجر) يا هر (هانز) .

انعقد حاجبا (هانز) ، وهو يقول بالهولندية :

ـ من الجنرال (كروجر) هذا ؟!

أجابه صاحب الصوت الهادئ بالألمانية :

ـ حليفك القوى وممثل دول المحور ، فى الحرب العالمية الثالثة .

كانت هذه هى العبارة السرية المتفق عليها ، لذا فقد أسرع (هانز) يفتح الباب ، وهو يشير بمسدسه ، قائلاً :

ـ أسرعوا .

دلف خمسة رجال أقوياء إلى المكان ، وألقوا نظرة لا مبالية على (شوكت) ، قبل أن يقفوا بعضهم إلى جوار البعض ، فى صف عسكرى منتظم ، وأيديهم معقودة خلف ظهورهم ، فتطلع إليهم (هانز) فى اهتمام ، قائلاً فى صرامة :

ـ أأنتم الفريق كله ؟!

أجابه قائد المجموعة :

ـ نحن ثلث الفريق فحسب يا هر (هانز) .

سأله (هانز) :

ـ وهل تحمل كل التفاصيل ؟!

أخرج الرجل لفة أوراق من حزامه ، قائلاً :

ـ بكل تأكيد .

ثم اتجه إلى المنضدة القريبة ، وفرد الأوراق كلها فوقها ، وهو يقول :

ـ إننا نراقب تحركات الهدف بمنتهى الدقة ، منذ ستة أشهر ، ولقد أمكننا تسجيل نظام الأمن كله .

وأشار على الأوراق ، متابعًا :

ـ الكل يسير فى صف واحد .. فى البداية دراجة بخارية ، يُطلق عليها اسم الدليل ، وبعدها أخرى لفتح الطريق ، ثم عدد من سيارات الأمن ، لتفقّد الموقف كله ، ثم يحين دور السيارات الرسمية ..

ثلاث سيارات سوداء متماثلة فى المتوسّط ، وكلها ذات نوافذ داكنة ، بحيث لايمكنهم قط تحديد أية واحدة منها تقلّ الهدف ، ثم تليها سيارة عسكرية ، تحمل فرقة من الحرس الخاص ، المدرّب على مكافحة الإرهاب ، ثم سيارة إسعاف مجهّزة للطوارئ القصوى ، ثم سيارات المرافقين ورجال الأمن ..

تساءل (هانز) فى اهتمام ، و (شوكت) يضع منظاره الطبى ، لفحص الأوراق بعناية :

ـ وماذا عن خط السير ؟!

قال الرجل بابتسامة ساخرة :

ـ العجيب أنه لا يتغيّر أبدًا تقريبًا .. نفس المسار ، ونفس أسلوب التأمين .. رفع كل السيارات عن الطرقات ، ومراقبة الأسطح ، والانتشار فى كل الطرق الفرعية ، واعتقال كل من يشتبه فى أمره ، لحين مرور الهدف ..

انعقد حاجبا (هانز) ، وهو يلقى نظرة طويلة على خريطة المسار ، فى حين سأل (شوكت) فى اهتمام ، وهو يشير إلى مبنى كبير على الخريطة :

ـ وما هذا بالضبط ؟!

أجابه الرجل فى سرعة ، وكأنما ينتظر السؤال :

إنه فندق كبير ، من فنادق الخمسة نجوم ، وهو يطلّ على النيل مباشرة ، وكل هذه المبانى مزوّدة ببوّابات أمن إليكترونية ، تكشف كل أنواع المعادن والأسلحة .

ارتسمت ابتسامة ارتياح ، على وجه (شوكت) وهو يتبادل نظرة خاصة مع (هانز) ، مغمغمًا :

ـ عظيم .

أما هذا الأخير ، فقد بدا أكثر جدية وحزمًا ، وهو يقول :

ـ هنا تتأتّى فوائد الأسلحة الإليكترونية الجديدة ، التى تعاقدنا عليها فى (موسكو) ، فمن بينها قاذفات الصواريخ بعيدة المدى ، المصنوعة من اللدائن الصناعية ، والقابلة للطى ، فهى صغيرة الحجم ، وغير قابلة للكشف ، فى بوّابات الأمن التقليدية ، كما يمكنها إصابة مدرّعة ، ونسفها ، من مسافة كيلومترين ..

صمت قليلاً ، ليلقى نظرة أكثر شمولاً على الخريطة كلها ، ثم تابع فى حزم :

ـ نريد استئجار حجرتين تطلاّن على الميدان ، وليس على النيل ، فى ذلك الفندق ، كما أريد اثنين منكم ، يمكنهما استخدام القواذف الصاروخية ، أما الباقون ، فسيتم توزيعهم فى المنطقة ، طبقًا للخطة ، التى سأبلغكم بها ، بعد استلام صفقة الأسلحة .

سأله الرجل في اهتمام :

ـ ألا يمكننا معرفة الإطار العريض للخطة ؟!

شدّ (هانز) قامته في صرامة ، قائلاً :

ـ كل ما يمكنك معرفته الآن ، هو أن العملية ستتم بسرعة مدهشة ، وأننا سنطلق أربعة صواريخ مباشرة ، خلال خمس ثوان فحسب ، وبعدها ستنهال الرصاصات كالمطر .

وأدار عينيه إلى صورة معلّقة على الجدار ، مستطردًا :

ـ وبهذا سنضمن الظفر بالهدف .

قالها ، وعيناه تتطلعان إلى صورة الهدف ..

آخر هدف يمكن توقّعه من هذه العمليات ..

على الإطلاق ..

* * *

« أنت واثق من أنه وزير الدفاع ؟! »

ألقى (دان جرينوفيتش) السؤال على (إيفان إيفانوفيتش) ، وهو يصبّ لنفسه كأسًا من الخمر ، فانعقد حاجبا هذا الأخير ، وهو يراقب جهاز الاتصال المحدود ، قائلاً في صرامة :

ـ لست واثقًا من شيء ، وطبيعة الهدف لا تعنيني قط .

ارتشف (جرينوفيتش) ـ رجل (المافيا) الروسية في (إسرائيل) ـ رشفة من كأسه ، وهو يتساءل في حيرة :

ـ ولكنك أخبرت ذلك المصري أنه وزير الدفاع ، وهذا ما سيبلغه بالفعل للمصريين .

تألّقت عينا (إيفانوفيتش) ، وهو يقول :

ـ ماذا دهاك يا (جرينوفيتش) ؟! هل أفقدتك الهجرة إلى (إسرائيل) ذكاءك الشهير ؟!

ابتسم الرجل فى سخرية مريرة :

- هجرتى إلى (إسرائيل) ؟! لا تذكرنى بأكبر خطأ ارتكبته فى حياتى يا زعيمى .. لقد تصوّرنا ، نحن رجال المخابرات السوفيتية السابقين ، أننا ما إن نعلن رغبتنا فى الهجرة إلى أرض الميعاد ، بكل تاريخنا وخبرتنا ، حتى تهلّل المخابرات الإسرائيلية لهجرتنا ، وهجرة كل أصحاب الخبرات الخاصة ، من اليهود السوفيت ، وتمنحنا أفضل الوظائف والمناصب ، فى (الموساد) أو (أمان) ، ولكننا فوجئنا بحالة من التجاهل التام ، واللامبالاة المستفزة ، وفوجئنا أكثر بوظائف تافهة ، وأعمال حقيرة ، وكأننا بعض الشيوخ القدامى ، من ذوى العاهات .

قال (إيفانوفيتش) :

- من حسن حظك إذن أن اتصلت بك ، وانتشلتك من كل هذا ، ومنحتك عملاً راقيًا فى منظمتى .

ابتسم (جرينوفيتش) ، وهو يغمغم :

- خدمة لن أنساها قط ، ما بقى لى من العمر يا زعيم .

ثم تلاشت ابتسامته ، وهو يسأل فى حذر :

- ولكن ما علاقة هذا بسؤالى ؟!

ألقى (إيفانوفيتش) عليه نظرة باردة ، ثم تطلّع إلى جهاز الاتصال ، الذى يتلهّف على استقبال تقرير (ميرا) عبره ، قبل أن يجيب :

- لو أنك أعملت عقلك ، كما كنت تفعل سابقًا ، لأدركت أن طبيعة الهدف ، وحتى طبيعة مهمة هؤلاء الحمقى ، لا تعنينى من قريب أو بعيد ، فعندما تعود أنت إلى (إسرائيل) ، سيكون عليك أن تنقل ما أخبرتك به ، عبر شخص آخر ، إلى جهاز المخابرات هناك ، ولايهم حتى مصير ذلك الشخص ، لو أنه لايعرفك بصفة شخصية ..

المهم أن الإسرائيليين سيشعرون بقلق شديد ، مما سيصلهم ، وسيخشون ، لو حدث هذا بالفعل ، أن يفسد حالة السلام والأمن والاستقرار ، التى يعيشونها مع (مصر) ؛ لذا ، فسيسارعون بإبلاغ الأمر كله للحكومة المصرية ، التى ستجد لديها ما يوحى بصحة الأمر ، وخاصة عندما يبلغها أمر مرور صفقة أسلحة ضخمة ، عبر حدودها مع (إسرائيل) .. ومن الطبيعى ، فى مثل هذه الظروف ومع المعلومات المؤكدة والمنتظرة عن الصفقة ، وما سيعقبها من عمل إرهابى ، ستتضاعف فرصة (رأفت كاظم) ، فى مقابلة رئيس الجمهورية المصرى ، وهو يرتدى الساعة ، التى منحته إياها .

سأله (جرينوفيتش) فى اهتمام شديد :

- وما الذى تحويه هذه الساعة .. جهاز تنصّت ؟!

ابتسم (إيفانوفيتش) ، قائلاً :

- فكرة سخيفة ، وتقليدية للغاية .

تراجع (جرينوفيتش) فى مقعده ، وهو يقول فى حذر :

- تريد شيئًا عبقريًا ، وغير تقليدى على الإطلاق ؟! ما رأيك إذن لو أنها جهاز تحديد موقع ، يمكنه رصد نقطة تواجد رئيس الجمهورية المصرية ، فى لحظة بعينها ، بحيث يمكن قصفه مثلاً .

ابتسم (إيفانوفيتش) ، قائلاً :

- فكرة مبتكرة بالفعل ، ولكنها معقّدة أكثر مما ينبغى ، فلو أن المصريين يمكنهم كشف جهاز تنصّت ، فسيمكنهم فى يُسر كشف ساعة تبثّ ذبذبات منتظمة يمكن رصدها .

ثم مال إلى الأمام ، وعادت عيناه تتألقان فى زهو ظافر ، وهو يسأل :

لِمَ لا تبحث عن فكرة أكثر بساطة ، ولكنها غير متوقَّعة إطلاقًا ، فى عالم الواقع ؟!

هزَّ (جرينوفيتش) كتفيه فى حذر ، قائلاً :

- الفكرة الوحيدة ، التى يمكن أن تأتى إلى ذهنى ، بهذه المواصفات ، هى أن تكون تلك الساعة مجرَّد ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف :

- آه .. سيد (إيفانوفيتش) .. هل يمكن أن تكون هذه الساعة مجرَّد ..

قاطعه الروسى بكل زهو وصرامة :

- بالضبط يا عزيزى .. تلك الساعة مجرَّد قنبلة .. قنبلة صغيرة جدًّا ، وقوية جدًّا ، نسبة إلى حجمها .. قنبلة تكفى لنسف مكتب رئيس الجمهورية المصرى .. بأكمله .

واتسعت عينا (جرينوفيتش) أكثر ..

فالمفاجأة كانت قوية ..

بحق ..

* * *

ضغطة واحدة ، على الزناد الإضافى للمدفع الآلى المزدوج ، كانت تكفى لإلقاء قنبلة شديدة الفتك ، نحو (علاء) و (ريهام) ، لتنسفهما نسفًا بلا رحمة ، فى قلب ثلوج (موسكو) ..

وكان الخصم ، الذى سيضغط الزناد ، خصمًا رهيبًا ، مخيفًا ، قاسيًا ، صارمًا ، بلا رحمة ..

ولكن فجأة ، تدحرج (شريف) فى الجانب الآخر للحطام ، وهو يحمل ذلك المدفع الآخر ، ويهتف فى عصبية صارمة :

ومن سيمنحك الفرصة لتحقيق ما تريد .

وقبل أن يدير الحارس الخارق فوهة مدفعه نحوه ، ضغط (شريف) الزناد المزدوج للمدفع الذى يحمله ..

وانطلقت منه القنبلة ..

انطلقت لترتطم بجسد الحارس الخارق ، وتنتزعه من مكانه ، وهو يطلق صرخة رعب قوية ، قبل أن يرتطم بجذع شجرة كبيرة ..

ثم دوى الانفجار ..

انفجرت القنبلة ، ومزّقت جسد الحارس الخارق تمزيقًا ، قبل أن يسقط على الجليد ودماؤه تتناثر على مساحة واسعة للغاية ..

ومن مخبئها ، شاهدت (ميرا) ذلك المشهد الرهيب ، فغمغمت فى غضب :

ـ يا للشيطان !



ولكن لحظة : تدحرج (شريف) فى الجانب الآخر للحطام ، وهو يحمل ذلك المدفع الآخر ..

ثم راحت تزحف بسرعة ، بمعطف الفراء الأبيض السميك ، فوق الجليد الذى يغطى كل شىء ، لتبتعد عن المكان بقدر استطاعتها ، قبل أن تتوقف عند جذع شجرة كبير ، وهى تلهث فى شدة ، من فرط الانفعال ، وألصقت ظهرها به فى قوة ، وهى تضغط زر جهاز الاتصال الداخلى المحدود ، هاتفة :

- إنه أنا أيها الزعيم .. أجب .

كان (إيفانوفيتش) يجلس مع مندوبه الإسرائيلى ، عندما تلقى الهتاف ، عبر جهاز الاتصال الخاص المحدود ، فاستدار إليه فى سرعة ، وضغط زره ، قائلاً :

- هنا الزعيم .. ماذا لديك يا (ميرا) ؟!

أدهشته نبرة العصبية ، فى صوتها البارد دومًا ، وهى تجيب :

- المصريون فعلوها مرة أخرى أيها الزعيم ..

أنا الوحيدة المتبقية ، من الفريق كله .. لقد أمكنهم تحييد عمل أجهزة الأمن الإليكترونية ، فى المدافع الجديدة .. لقد استخدموا أحد مدافعنا ، للقضاء على الحارس الخارق الأخير .. أريد إمدادات فورًا .. هل تسمعنى أيها الزعيم ؟! أريد الإمدادات بأقصى سرعة .

احتقن وجه (إيفانوفيتش) ، فى غضب شديد ، وهو يقول :

- واصلى مراقبتهم وتحديد موقعهم يا (ميرا) ، وستصل الإمدادات خلال دقائق .

قالت فى توتر :

- أرسل كل ما يمكنك أيها الزعيم .. إنهم بارعون بحق .. بارعون إلى حد كبير .

قال فى صرامة غاضبة :

- اطمئنى .

سأله (جريتوفيتش) فى توتر ، فور انتهاء الاتصال :

- هل نجح المصريون فى الفرار ؟!

التفت إليه (إيفانوفيتش) ، فى حركة حادة شرسة ، وكأنما يدرك وجوده لأول مرة ، ثم قال فى غضب عصبى :

- ماذا تفعل هنا ؟!

ارتبك الإسرائيلى ، وهو يغمغم :

- سيد (إيفانوفيتش) .. إننى ...

قاطعه فى حدة ، وهو يشير بيده إلى الباب :

- ليس لدينا لحظة واحدة نضيعها ، ولا شأن لك بما يحدث هنا .. هيا .. (تروتسكى) فى انتظارك ، لتبدأ رحلتك الطويلة إلى (تل أبيب) .. أريدك هناك قبل ظهر الغد ، وخط السير طويل .. هل تفهم ؟!

امتقع وجه الإسرائيلى ، وهو يتجه نحو الباب مباشرة ، قائلاً :

- أفهم يا سيد (إيفانوفيتش) .. أفهم ..

لم يكد يغادر الحجرة ، ويُغلق الباب خلفه ، حتى ضغط (إيفانوفيتش) زراً على مكتبه ، وهو يغمغم بغضب هادر :

- مستحيل ! لم يفعلها أحد من قبل قط !! ولايمكن أن نسمح لمخلوق واحد بفعلها .. (المافيا) الروسية ستظلّ جداراً فولاذياً ضخماً ، يستحيل أن ينجح أحد فى اختراقه .

هرع مساعده النحيل الصارم إلى المكتب ، تلبية للنداء ، فشدّ قامته فى قوة ، وحمل وجهه وصوته كل غضبه وصرامته ، وهو يقول :

- (بوريس) .. أريد أن أسند إليك مهمة بالغة الخطورة والسرعة ، ولابد من حسمها خلال

سأله (جريتوفيتش) فى توتر ، فور انتهاء الاتصال :

- هل نجح المصريون فى الفرار ؟!

التفت إليه (إيفانوفيتش) ، فى حركة حادة شرسة ، وكأنما يدرك وجوده لأول مرة ، ثم قال فى غضب عصبى :

- ماذا تفعل هنا ؟!

ارتبك الإسرائيلى ، وهو يغمغم :

- سيد (إيفانوفيتش) .. إننى ...

قاطعه فى حدة ، وهو يشير بيده إلى الباب :

- ليس لدينا لحظة واحدة نضيعها ، ولا شأن لك بما يحدث هنا .. هيا .. (تروتسكى) فى انتظارك ، لتبدأ رحلتك الطويلة إلى (تل أبيب) .. أريدك هناك قبل ظهر الغد ، وخط السير طويل .. هل تفهم ؟!

امتقع وجه الإسرائيلى ، وهو يتجه نحو الباب مباشرة ، قائلاً :

- أفهم يا سيد (إيفانوفيتش) .. أفهم ..

لم يكد يغادر الحجرة ، ويُغلق الباب خلفه ، حتى ضغط (إيفانوفيتش) زراً على مكتبه ، وهو يغمغم بغضب هادر :

- مستحيل ! لم يفعلها أحد من قبل قط !! ولايمكن أن نسمح لمخلوق واحد بفعلها .. (المافيا) الروسية ستظل جداراً فولاذياً ضخماً ، يستحيل أن ينجح أحد فى اختراقه .

هرع مساعده النحيل الصارم إلى المكتب ، تلبية للنداء ، فشدّ قامته فى قوة ، وحمل وجهه وصوته كل غضبه وصرامته ، وهو يقول :

- (بوريس) .. أريد أن أسند إليك مهمة بالغة الخطورة والسرعة ، ولابد من حسمها خلال

مع شخص آخر ، أو حتى أقوم بشحنها ، على الطائرة نفسها ، ليتسلمها أى شخص هنا .. ذلك الذى قاد سيارته مثلاً .

أشارت (منى) بسبابتها ، وهى تقول فى حزم :

- ثم إنه قد اختار منزلاً بسيطًا ، وأقام فيه على نحو مباشر ، دون أية محاولة للاختباء أو التورية ، وكأنه يتعمدُ وضع نفسه أمام أعيننا وبين أيدينا طوال الوقت .

قال قائد المجموعة فجأة فى حزم شديد :

- بالضبط .

التفت إليه الجميع فى تساؤل ، فضرب سطح المنضدة براحته ، متابعًا :

- هذا دوره بالضبط ، فى العملية كلها ، أن يجذب انتباهنا وتفكيرنا طوال الوقت ، حتى يقوم رفاقه بضرب ضربتهم .

قالت (منى) فى حماس :

- تفسير منطقى .

استدار قائد المجموعة إلى (أشرف) وقال فى حزم :

- نريد إجراء بحث شامل جديد ، لكل قوائم الوصول ، عبر كل منافذنا الخارجية .. المطارات ، والموانى ، والحدود البرية .. أريد معرفة اسم كل سائح وصل إلى (مصر) ، خلال هذا الأسبوع ، ومعرفة أين يقيم ، وما اسم الشركة التى أتى ضمن برنامجها ، أو الغرض الذى حدده فى بطاقة الدخول .

أجابه (أشرف) فى سرعة ، وهو يتجه نحو الباب .

- سأبدأ على الفور .

ثم توقف ، وسأل (منى) :

- هل يمكنك معاونتى ، فى هذا الشأن ؟!

بدت له شاردة ، ساهمة ، واجمة ، فمال نحوها ، قائلاً فى قلق :

- آنسة (منى) .

انتفضت كمن يستيقظ من حلم عميق ، وأدارت عينيها إليه ، قائلة :

- ماذا هناك ؟!

لم تدر لماذا شرد ذهنها كله بغتة هكذا !!

ولكن من المؤكد أن هذا يتعلق بـ (أدهم صبرى) ، على نحو ما ..

فجأة ، وثب تفكيرها كله إليه ، وتساءل قلبها قبل عقلها : ترى ما الذى ينتويه بالضبط ؟!

ما الذى سيفعله بنفسه هذه المرة ؟!

وأين سيذهب ؟!

أين ؟!

أين ؟!

* * *

فجأة ، انتفض جسد دونا (كارولينا) ، وهى تفتح عينيها ، وتتأوه ، هاتفة :

- رباه ! ماذا أصابنى ؟!

اندفع محاميها الخاص (بنيتو) نحوها ، مع ممرضة الطوارئ فى مستشفاها الخاص ، وقالت الممرضة :

- حمداً لله على سلامتك يا دونا .. لقد تجاوزت مرحلة الخطر أخيراً .

أما محاميها ، فقال فى جدية شديدة .

- إذن فقد استعدت وعيك أخيراً يا دونا .. إننا ننتظر أوامرك .

حدقت فى وجهيهما لحظة ، بشىء من الدهشة والحيرة ، قبل أن تسأل :

- ماذا حدث بالضبط يا (بنيتو) ؟!

جلس محاميها على طرف فراشها ، وهو يقول فى حزم :

- إننى لم أشهد الواقعة بنفسى يا دونا ، ولم يتبق من رجالنا سوى اثنين ، قالا : إن سيارة الإسعاف انفجرت بغتة ، ثم جاءت سيارة أخرى ، لتحصد من تبقى برصاصات المدافع الآلية .

قالت ، فى شىء من العصبية :

- هل عادت حرب الثلاثينات أم ماذا(*) ؟!

(*) ففى فترة الثلاثينات من القرن العشرين ، وبعد أن تولى (موسولينى) حكم (إيطاليا) ، بأسلوب الحديد والنار ، هاجرت معظم عصابات (المافيا) إلى (أمريكا) ، وهناك دارت بينهم حرب طاحنة ، على مقعد الزعامة لكل العصابات ، ولم ينته الأمر إلا عندما قام أحد الزعماء بقتل الباقين فى يوم واحد ، أطلق عليه اسم (مذبحة المافيا) ، وبعدها استقرت الأمور .

أومأ برأسه ، قائلاً :

- يبدو هذا يا دونا ، ولكن الصراع لم يعد داخليًا كالسابق .. لقد اكتسب سمات العصر ، وتحوّل إلى صراع عالمى .

سألته فى توتر :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

لاحظت الممرضة توترها وانفعالها ، فقالت فى قلق :

- سيدتى .. لقد استعدت وعيك على الفور ، والأطباء أكدوا ..

استدارت إليها دونا (كارولينا) ، قائلة فى شراسة :

- اخرجى .

اتسعت عينا الممرضة ، وهى تقول فى دهشة :

- ماذا ؟!

صاحت بها دونا :

- قلت : اخرجى .. لا أريد رؤيتك هنا .. الحديث شخصى تماما ..

قالت الممرضة فى ارتباك :

- ولكن يادونا .. أوامر الأطباء أن ..

قاطعتها فى صرامة :

- فلتذهبى وكل الأطباء إلى الجحيم .. كلكم هنا تعملون لحسابى ، ويمكننى فصلكم بإشارة واحدة منى .. هل استوعبت هذا ؟!

امتقع وجه الممرضة ،وهى تنسحب فى سرعة ، قائلة :

- بالتأكيد يا دونا .. بالتأكيد .

تابعها المحامى ببصره ، حتى اختفت خارج الحجرة ، فقال :

- كنت قاسية معها للغاية يا دونا .

أمسكت (كارولينا) بصدرها ، مع الآلام التى تصاعدت من موضع إصابتها ، وهى تقول فى عصبية :

- إنها أمور العمل ، ولم نعتد أبدًا مناقشتها فى وجود آخرين .

ثم أشارت بيدها ، وهى تسأله فى صرامة :

- ما الذى قصدته بالصراع العالمى ؟!

أجابها ، وهو يخرج بعض الأوراق من حقيبته ، ويناولها إياها .

- كل من اشترك فى هذه المذبحة من رجال (إيفانوفيتش) .

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى غضب :

- (إيفان إيفانوفيتش) ؟!

أومأ برأسه إيجابا ، وقال :

ـ إنه صراع زعامة يا (دونا) .

ازداد انعقاد حاجبيها ، ورسم الغضب خطوطه الواضحة على ملامحها ، وهى تغمغم :

ـ يا للوغد !

ثم سألت المحامى بلهفة واضحة :

ـ وماذا عن رفاق (أدهم) ؟!

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ لم يكن حظهم كحظك للأسف يا (دونا) .. ذلك الزنجى لقى مصرعه فى الانفجار ، مع إحدى المرأتين ، والأخرى أصابتها ثلاث رصاصات ، تم استخراجها من جسدها بعمليتين جراحيتين معقدتين للغاية ، وهى الآن فى حجرة العناية المركّزة ، والأطباء يقولون : إن احتمالات نجاتها لاتتجاوز العشرة فى المائة .

اتسعت عيناها فى ارتياع ، وهى تردد :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

ربت المحامى على يدها ، وهو يقول :

ـ المهم أنك أنت نجوت يا (دونا) ، والرجال كلهم ثائرون ، ومتعطشون للثأر والانتقام ، ولا ينتظرون سوى أوامرك ، و ...

قاطعته فى حدة :

ـ أنت لا تفهم شيئاً .

ثم أمسكت يده فى قوة ، مستطردة بانفعال عجيب :

ـ كل ما سنفعله ، أو يمكننا أن نفعله ، لن يعدّ ذرة ، فيما يمكن أن يفعله (أدهم) وحده ، مع الغضب الذى سيعصف بنفسه ، عندما يعلم ما أصاب رفاقه .

وارتجفت شفتاها ، وهى تضيف :

ـ (أدهم) لن يغفر ما فعله (إيفانوفيتش) برفاقه .. لن يغفره أبدًا .

سألها المحامى ، فى مزيج من الدهشة والحنق :

ـ وما شأننا به الآن .. إننا نسعى للثأر ولـ ...

قاطعته فى حدة :

ـ قلت لك : إنك لا تفهم شيئًا .

تصاعدت آلام صدرها أكثر وأكثر ، وانحدرت الدموع من عينيها حارة ملتهبة ، فأشاحت بوجهها لتخفيها عن عينى محاميها ، وهى تستطرد بكل مرارة الدنيا :

ـ ما سيفعله (أدهم) ، فى ظروفه الصحية الحالية ، سيعنى نهايته .

ودون أن تدرى ، تفجّرت دموعها كالسيل ، مضيفة :

ـ نهاية أعظم رجل عرفته ، فى حياتى كلها .

وفى هذه المرة ، لم تحاول إخفاء دموعها الغزيرة ..

لم تحاول أبدًا ..

* * *

تألّقت عينا (بوريس) بسادية عجيبة ، وهو يجلس داخل الهليوكوبتر ، التى راحت تدور فى مساحة واسعة ، لتفقد ساحة المعركة ، ووضع منظاره المقرّب ، المجهّز للرؤية الليلية على عينيه ، وهو يتابع حركة راكبى الدراجات الآلية الجليدية من الشرق ، وفرقة التزلج المسلحة من الغرب ، وهو يقول ، عبر جهاز اتصال خاص محدود :

ـ انتشروا شمالاً وجنوبًا ، بحيث نحاصرهم تمامًا .. لا أريد أن نترك لهم ثغرة واحدة .. أطلقوا النار فور رؤيتهم .. أوامر الزعيم ألا يبقى أحدهم على قيد الحياة .

أتاه صوت قائد فرقة الدراجات ، وهو يقول :

ـ قل لى يا سيِّد (بوريس) : هل كان الأمر يستحق كل هذا ، لقتل ثلاثة أشخاص غير مسلحين فحسب ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ نفذ الأوامر فحسب .

صمت الرجل لحظة ، ثم قال صاغرًا :

ـ بالتأكيد يا سيِّد (بوريس) .. بالتأكيد .

لم يكد (بوريس) ينهى الاتصال ، حتى انبعث أزيز متصل من الجهاز ، فضغط زر الاتصال ، وهو يقول فى صرامة :

ـ من المتحدِّث ؟!

أتاه صوت (ميرا) ، وهى تقول :

ـ إنه أنا يا (بوريس) .

ارتسمت على ركن شفتيه ابتسامة ساخرة ، لم تنتقل إلى صوته ولهجته ، وهو يسألها فى هدوء :

ـ أين أنت بالضبط يا (ميرا) ؟! وأين المصريون الثلاثة ؟!

قالت فى ضيق :

ـ لقد فقدت أثرهم .

اعتدل فى مجلسه بحركة حادة ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ فقدت أثرهم ؟! ماذا تعنين بهذا ؟! المفترض أنك هنا لكى ..

قاطعته فى صرامة باردة :

ـ المصريون بارعون للغاية ، وإلا ما خرجتم بجيش كامل لمطاردتهم ، وهم يدركون أننى

أراقبهم ، ولقد نجحوا فى خداعى ، والإفلات منى ، ولكن ليس هذا هو المهم .

سألها فى سخرية عصبية ، وجدت سبيلها إلى صوته هذه المرة :

ـ وما المهم إذن أيتها العبقرية ؟!

أجابته فى صرامة متعمدة :

ـ المهم أنهم قد عطلوا مدافعنا الخاصة بوسيلة ما ، وأمكنهم تحييد نظام الأمن الشخصى بها ، بحيث أصبحت مجرد مدافع عادية ، ذات قدرات فائقة .

هتف بشىء من الذعر :

ـ حقاً ؟!

تابعت بنفس الصرامة :

ـ ولكن الأكثر خطورة هو أنهم استولوا على

بطاريات التشغيل ، الخاصة بالمدافع الأخرى ، مع كل مخزونها من القنابل الفائقة ، قبل أن يغادروا موقعهم .

قال فى عصبية :

ـ هل يتصورون أننا سنحتاج إلى تلك المدافع لمطاردتهم ؟!

قالت فى غضب :

ـ أهذا أقصى ما بلغه عقلك وتفكيرك ؟!

سألها فى حدة :

ـ لماذا يفسدون المدافع إذن أيتها المتحذلقة ؟!

أجابته مستفيدة صرامتها :

ـ لست أعتقد أن فكرة إفساد المدافع هذه قد جالت حتى بخاطرهم ، فما سعوا إليه لم يكن الإفساد أو التعطيل ، وإنما كان بهدف الحصول على ما حصلوا عليه .. البطاريات والقنابل .

سألها فى حذر ، وهو يدير منظاره المزوّد بخاصية الرؤية الليلية فى المكان :

ـ ولماذا ؟!

أجابته ، فى شىء من التوتر ، تجاوز برودها الأسطورى :

ـ لأن أحدهم على الأقل خبير متفجرات ، وهذا يبدو واضحًا ، مع أسلوب فرارهم ، وما استخدموه لتحويل بطارية صغيرة ، مع خزانات زيت ، إلى قنبلة عنيفة .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ خبير متفجرات ، ولكن ..

بتر عبارته بغتة ، وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يهتف :

ـ آه .

سألته (ميرا) :

ـ ماذا حدث عندك ؟!

أشار بيده ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ ها هم أولاء هناك .. لقد عثرت عليهم يا (ميرا) .. أنهى الاتصال فورًا .. لابد أن أنقل الأوامر للرجال دون إبطاء .

قالها ، وأنهى الاتصال فورًا ، ثم ضغط زر الجهاز مرة أخرى ، وقال فى حماس سادى :

ـ انتباه للجميع .. الهدف يتحرك فى اتجاه الجنوب ، بزاوية سبعين درجة .. تذكروا جميعًا ..

وانعقد حاجباه فى صرامة سادية ؛ وهو يضيف :

ـ الزعيم لايريد أحياء .

قالها ، وتألّقت عيناه على نحو عجيب .

ومخيف ..

للغاية ..

* * *

ساعات قليلة ، وإلا فقدنا كل سمعتنا وهيبتنا إلى الأبد .

بدا الاهتمام الصارم على وجه التحيل ، وهو يقول :

ـ أنا رهن إشارتك أيها الزعيم .

أشار (إيفانوفيتش) بيده ، قائلاً :

ـ خذ فرقة راكبى دراجات الجليد بأكملها ، والفرقة الزاحفة ، وحتى الهليوكوبتر الإضافية ، واذهب للبحث عن المصريين الثلاثة ، الذين خدعونا ، ويحاولون الفرار من بطشنا الآن .

قال (بوريس) فى صرامة :

ـ لن نسمح لهم يا سيِّد (إيفانوفيتش) .. لن نسمح لهم أبدًا .

عقد (إيفانوفيتش) كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى حزم آمر :

ـ انطلق إذن .. سأمنحك كل الصلاحيات .

قال (بوريس) فى حزم ، وبلهجة من يروق له عمله ، وهو يتجه نحو الباب :

ـ أمرك أيها الزعيم .

استوقفه (إيفانوفيتش) ، قبل أن يبلغ الباب ، قائلاً فى صرامة :

ـ (بوريس) .

استدار إليه التحيل فى طاعة ، فتابع بصرامة أكثر :

ـ لا أريدهم أحياء .

ارتسمت ابتسامة ذئبية على شفتى (بوريس) ، وهو يقول :

ـ عُلِمَ .

وغادر الحجرة ، وأغلق بابها خلفه بمنتهى الهدوء ، وهو يحمل هذا الأمر الأخير ..

العدو على الجليد أمر شاق للغاية ..

هذا ما كشفه أبطالنا الثلاثة ،وهم يعدون بأقصى سرعتهم ، فى محاولة للابتعاد عن المنطقة ، التى تسعى إليها فرق الإعدام ، التى أطلقها (إيفانوفيتش) خلفهم ..

وبأنفاس لاهثة ، هتفت (ريهام) :

ـ لن يمكننا الإفلات منهم أبدًا .. إنهم يقودون دراجات آلية ، مجهزة للانطلاق على الجليد ، أو زحافات ثلج ، وتقودهم هليوكوبتر مقاتلة قوية .

قال (علاء) فى حزم :

ـ ماذا تفضلين ؟! الاستسلام ؟!

هتف (شريف) ، وهو يلهث فى قوة :

ـ الموت أكثر رحمة .

توقفت (ريهام) فجأة ، وهى تقول :

ـ لا يمكن أن نمضى هكذا :

كاد (شريف) يسقط على وجهه ، وهو يحاول التوقف ، فى حين استدار إليها (علاء) ، قائلاً فى عصبية :

ـ لو أنك تفكرين فى الاستسلام فـ ..

قاطعته ، وهى تخرج قنبلة من جيبها :

ـ الاستسلام ؟! ومن تحدث عنه ؟!

ثم اتجهت إلى جذع إحدى الأشجار ، وبدأت تحيطه بسلك قوى ، انتزعته من حطام الهليوكوبتر ، مكملة :

إننى أترك بعض الهدايا خلفنا .

تلفت (شريف) حوله فى عصبية ، وهو يقول :

ـ أراهن على أنهم يراقبوننا من بعيد الآن ، بتلك المناظير ، الخاصة بالرؤية الليلية ، و ...



ثم اتجهت إلى جذع إحدى الأشجار ، وبدأت تحيطه بسلك قوى ، انتزعته من حطام الهليوكوبتر ..

بتر عبارته بغتة ، ثم هتف فى حماس :

ـ رباه ! كيف لم يخطر هذا ببالى ؟!

سأله (علاء) فى اهتمام :

ـ فيم تفكّر بالضبط ؟!

لوّح (شريف) بيده ، وهو يقول فى حماس :

ـ مناظير الرؤية الليلية كلها تستخدم الأشعة تحت الحمراء .

واصلت (ريهام) عملها ، وهى تسأله فى حيرة :

ـ وماذا فى هذا ؟!

أجاب بنفس الحماس :

ـ هذه الأشعة تعتمد على الانبعاث الحرارى من الأجسام ، وتضخيمه ، بوساطة تلك المناظير

الخاصة ، بحيث يمكن رؤية تلك الأجسام ، وسط الظلام الدامس .

سأله (علاء) مباشرة :

ـ ما الذى تحاول قوله بالضبط ؟!

أخرج (شريف) من جيبه قدّاحة ، انتزعها من صندوق أدوات الصيقة ، وهو يلوّح بها ، قائلاً :

ـ إن الحرارة الشديدة تربك أجهزتها .

نهضت (ريهام) ، وهى تلهث ، قائلة :

ـ آه .. فهمت .

وأكمل (علاء) فى اهتمام :

ـ أتعتقد أن إشعال النيران يمكن أن يربكهم ؟!

لوّح (شريف) بالقدّاحة مرة أخرى ، قائلاً :

ـ على الأقل فى مجال الرؤية .

تبادلت (ريهام) نظرة دهشة مع (علاء) ، قبل أن تهتف :

ـ وماذا ننتظر ؟!

كانت الفرقتان تتجهان إلى موقعهم ، من الشرق والغرب ، و(بوريس) يراقبهم بمنظاره الخاص ، عندما قال فى توتر :

ـ ماذا يفعلون بالضبط ؟!

قبل أن يتمّ عبارته ، اشتعلت كومة الأغصان الجافة ، التى جمعها أبطالنا الثلاثة ، عند قاعدة جذع شجرة كبير ، فهتف (بوريس) :

ـ آه .. إنهم ..

كان الجليد يواصل انهماره ، ويكسو كل شىء تقريبًا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد امتدّت النيران إلى جذع الشجرة بسرعة مدهشة ، وراحت تتوهج ..

الأمر بإعدام الفريق المصرى ..

كله ..

* * *

لثوان ، حدّق (شريف) فى جسد الحارس الخارق ، فى توتر هلع ، وسط صمت سيطر على الموقف كله ، قبل أن تقطعه (ريهام) ، وهى تختطف المدفع من (شريف) فى لهفة ، هاتفة :

ـ لقد فعلتها .

ارتجف صوت (شريف) ، وهو يقول :

ـ لست أدرى كيف فعلت هذا !! إنها أول مرة أطلق فيها النار على هدف حى .

ابتسم (علاء) ، قائلاً :

ـ بداية موفّقة يا صديقى .. لقد فاجأته ، ونسفته نسفًا .

هتفت (ريهام) ، وهى تفحص المدفع فى انبهار :

ـ عم تتحدثان .. إننى أقصد ما فعله بالمدفع .. لقد تجاوز نظام أمنه الإليكترونى .

بدا (شريف) متوترًا مضطربًا ، وهو ينهض قائلاً :

ـ فلنحمد الله (سبحانه وتعالى) ، على أننى نجحت فى إبطال مفعول الدائرة الإليكترونية ، فى الوقت المناسب ..

هتفت فى انبهار :

ـ إنها معجزة .

هزّ رأسه فى توتر ، وتطلّع إلى (علاء) الذى انتزع معطف الفراء المضاد للرصاصات ، من أحد رجال (المافيا) الروسية الصرعى ، وراح يرتديه ، ليبث فى جسده بعض الدفء ، وقال فى عصبية :

- الفكرة وثبت إلى ذهنى فجأة ، مع توتر الموقف ، فمحوت ذاكرة نظام الأمن الإليكترونى ، وأوصلت بطاريات التشغيل بالزناد مباشرة ، ثم انتزعت الدائرة الإليكترونية ، و ...

قاطعته (ريهام) ، هاتفة :

- وكل هذا خلال دقيقة واحدة .

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- من حسن الحظ أن عثرت على صندوق أدوات الصيانة ، فى الوقت المناسب .

ارتفع حاجباها ، وهى تقول :

- صندوق ماذا ؟!

ثم انفجرت ضاحكة ، وربّتت على كتفه ، مضيفة :

- لم أكن أعلم أنك شديد التواضع أيضًا .

شعر (علاء) بالدفء يسرى فى أوصاله ، بعد أن ارتدى معطف الفراء السميك ، فراح ينتزع قفازات الرجال ، وهو يقول :

- المهم الآن أن تعمل على تعديل مدفعين آخرين ، قبل أن يصل الفوج الثانى من هؤلاء الأوغاد .

سأله (شريف) بقلق شديد ، وهو يلتقط مدفعًا آخر :

- هل تعتقد أنهم سيرسلون المزيد ؟!

قال (علاء) ، وهو يناول (ريهام) زوجًا من القفازات :

- ليس لدى أدنى شك فى هذا .. ماذا ستفعل ، لو كنت فى مكانهم ؟!

راح (شريف) يعمل على تعديل المدفع فى سرعة ، وهو يقول :

- هذا يعنى ضرورة أن نعمل بأقصى سرعة .

تلفتت (ريهام) حولها ، وهى تتساءل فى توتر :

- أين تلك الأفعى ؟!

سألها (علاء) فى قلق :

- أية أفعى ؟!

راحت تفحص جثث القتلى ، وهى تقول فى عصبية :

- (ميرا) .. لقد شاهدتها معهم ، ولا أجد لها أثرًا الآن .

تلفَّت (علاء) حوله بدوره ، وهو يتساءل :

- نعم .. أين هى ؟!

كان الجليد يواصل انهماره ، ويخفى كل الآثار ، فقالت (ريهام) غاضبة :

- أراهنكما على أنها هنا ، فى مكان ما ، تراقبنا بكل الغضب .

تلفَّت (شريف) حوله فى ذعر ، قائلاً :

- هل تعتقدين أنها يمكن أن تطلق علينا النار من مخبئها ؟!

أجابه (علاء) فى صرامة :

- كلاَّ .. (ميرا) لن تجازف بكشف مكمنها ، ما لم تضمن نصرًا كاملاً وساحقًا .. لو أننى فى موضعها الآن ، لاختبأت جيدًا ، ونقلت الموقف كله إلى القيادة .. إلى (إيفانوفيتش) ، ثم طلبت المزيد من القوات والإمدادات .

واصلت (ريهام) التلفُّت حولها ، وهى تمسك المدفع القوى ، قائلة فى توتر :

- ولو أننى فى موضع ذلك الوغد ، لأرسلت كل ما يمكننى من قوات ، لحصار المنطقة كلها ، ونسفنا نسفًا ، حتى لو دفعت حياتى كلها مقابل هذا .

ألقى (شريف) المدفع ، الذى انتهى من تعديله ، إلى (علاء) ، والتقط مدفعًا آخر ، وهو يقول فى عصبية :

- لابد أن نبتعد إذن ، بأقصى سرعة .

قال (علاء) فى حزم :

- سوف نتحرك ، فور انتهائك من تعديل المدفع الثالث .

راح (شريف) يعمل بأقصى سرعته ، فى محاولة لتعديل المدفع الثالث ، فى حين انتزع (علاء) ثلاثة مناظير للرؤية الليلية ، وثلاثة مصابيح يدوية ، استعدادًا لمواصلة الفرار ..

ومن مخبئها الآمن ، رأت (ميرا) كل هذا ، فهتفت بصوت خافت ، عبر جهاز الاتصال المحدود :

- أين الإمدادات أيها الزعيم ؟! إنهم يستولون على كل أسلحتنا وتجهيزاتنا ، فى كل دقيقة تمضى .

أتاها صوت (إيفانوفيتش) ، وهو يقول فى صرامة :

- فرقة كاملة من دراجات الجليد الآلية ، وأخرى زاحفة ، مع هليوكوبتر مسلحة ، فى طريقها إلى الموقع الآن ، بقيادة (بوريس) .

قالت فى ضيق :

- ولماذا (بوريس) ؟! أستطيع قيادتها فى سهولة .

أجابها فى صرامة :

- (بوريس) يعرف ما عليه أن يفعله .

مطّت شفتيها فى حنق ، وقالت ، محاولة الحفاظ على برودها الشهير :

- المهم أن تصل كل الإمدادات بسرعة ، قبل أن نفقد أثرهم .

أجابها فى غضب :

ـ ماذا تفعلين عندك إذن ؟! واصلى مراقبتهم وتحديد موقعهم ، وسيبلغك (بوريس) ، خلال دقيقتين على الأكثر ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى بدأت أذناها تستقبلان هدير دراجات الجليد الآلية ، وهى تقترب ، فغمغمت :

ـ هيا .. أسرعوا .

وألقت نظرة مقت على أبطالنا الثلاثة ، وقد انتهى (شريف) من تعديل المدفع الثالث ، وارتدى القفازين ، ومنظار الرؤية الليلية ، ودسّ المصباح اليدوى فى جيبه ، ثم انطلق مع رفيقه ، وهو يتساءل فى حيرة ، لماذا حمل الرجال تلك المصابيح اليدوية ، ما داموا يرتدون مناظير خاصة للرؤية الليلية ؟!

وبكل كراهيتها وسخطها ومقتها ، أضافت (ميرا) :

ـ أسرعوا لنسحقهم سحقًا .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، التقطت آذان الرفاق الثلاثة هدير محركات دراجات الجليد الآلية ، فتوقّفت (ريهام) ، قائلة بقلق شديد :

ـ ماذا هناك هذه المرة ؟!

وضع (علاء) منظار الرؤية الليلية على وجهه ، وتطلّع بعيدًا ، إلى مصدر الصوت ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى !

فمن بعيد ، كان هناك جيش من الجنود ، راكبى الدراجات الآلية ، المجهّزة للانطلاق على الجليد ، ينطلق نحوهم مباشرة ..

وفى نفس اللحظة ، التى لمح فيها المشهد الرهيب ، ارتفع هدير مراوح هليوكوبتر كبيرة ، تنطلق فوق رءوسهم ، فهتفت (ريهام) :

- هليوكوبتر أخرى ؟! كيف لم تلمحها ؟!

تابع (علاء) الهليوكوبتر ، بمنظار الرؤية الليلية فى قلق ، وهو يتساءل :

- ولكن لماذا تجاوزتنا ؟! أنا واثق أن تلك الروسية اللعينة قد حددت لهم موقعنا بالضبط !!

كان يتابع الهليوكوبتر فى اهتمام ، عندما رأى تلك الأجساد ، التى تتساقط منها ، بعد أن تجاوزت منطقة الأشجار الكثيفة ..

كان جيشًا آخر من المقاتلين ، الذين يرتدون زحافات خاصة ، للتزلج على الجليد ، والذين ما أن يهبط الواحد منهم من الهليوكوبتر ، حتى ينطلق بزحافتيه فورًا ، وهو يحمل مدفعه الآلى ، نحوهم مباشرة ..

ولم يكن الأمر بحاجة إلى الكثير من الذكاء ، ليفهم (علاء) الموقف كله ..

إنهم يعرفون موقعهم بالضبط ..

ولقد أعدوا خطتهم كلها ، بناء على معرفتهم هذه ..

وبدءوا فى محاصرتهم بإحكام ..

وكان هذا يعنى أنه لم يعد هناك سبيل إلى الفرار من الموت المحتوم ..

أى سبيل .

* * *



٨ـ حصار الدم..

« هناك خلل ما ، فى الأمر كله .. » ..

نطق رجل المخابرات (أشرف) العبارة ، فى توتر شديد ، وهو يراجع كل المعلومات التى أمامه ، حول وصول (نيكولاس) إلى (القاهرة) ، بجواز السفر الباريسى ، قبل أن يعيد الملف إلى سطح مكتبه ، متابعًا :

ـ من غير المنطقى أن يكون (نيكولاس) قد وصل إلى هنا ، ليستكين فى ذلك المنزل فحسب .

قالت (منى) فى اهتمام :

ـ ربما ينتظر إشارة ما ، لبدء دوره فى العملية .

غمغم (أشرف) :

ـ ربما .

ثم اتجه نحو النافذة ، وتطلع عبرها لحظة ، قبل أن يقول :

ـ لا يمكننى أن أصدق أبدًا أنه قد أتى إلى هنا ، متصورًا أنه يستطيع خداعنا ، بقصة مندوب الأطراف الصناعية الزائفة هذا .. ليس هو بالذات ، وهو يعلم جيدًا أن العالم يميزه بتلك اليد المعدنية السخيفة ، التى تجعله أشبه بقرصان حديث .

هزت (منى) رأسها ، قائلة :

ـ إنهم ليسوا أغبياء .

التفت إليها (أشرف) قائلاً :

ـ بالضبط ، ولهذا بالذات لا يمكننى الاقتناع بما يفعله ، فلو أننى أريد الوصول إلى (مصر) ، مخفيًا هويتى الحقيقية ، بجواز سفر زائف ، وأنا أدرك أن أكثر ما يميزنى هو يدى المعدنية ، لما أحضرتها فى حقيبتى الشخصية أبدًا .. كنت سأرسلها

وتتوهّج ..

وتتوهّج ..

وفى نفس اللحظة ، انطلق الثلاثة يعدون ، نحو الجنوب الغربى ، فى محاولة لتفادى الحصار ..

وبكل غضبه ، هتف (بوريس) :

ـ الأوغاد أشعلوا النيران ، ليفسدوا الرؤية الخاصة .. إننى لم أعد أراهم .. لاريب فى أنهم يحتمون بالأشجار ..

كانت النيران تمتدّ بسرعة ، من شجرة إلى أخرى ، على نحو مدهش ، فهتف بقائدى فريقى المطاردة فى غضب :

ـ أسرعوا أكثر .. أنتم قريبون جدًّا منهم .. لاتسمحوا لهم بخداعكم .. أسرعوا .

انطلق الفريقان بسرعة أكبر بالفعل ، من الشرق والغرب ، فى محاولة لإحكام الحصار ، والسيطرة

على الموقف تمامًا ، فى نفس الوقت الذى ضاعف فيه أبطالنا الثلاثة من سرعة عدوهم ، و (شريف) يلهث بشدة ، هاتفًا :

ـ لم أعد أحتمل .. فخذى تنزف فى غزارة ، والألم لا يطاق .

هتفت به (ريهام) :

ـ اصمد قليلاً يا (شريف) .. اصمد قليلاً .

صاح بكل آلامه :

ـ إلى متى ؟!

مع نهاية صيحته ، اختلّ توازنه ، وفقد سيطرته على جسده ، وسقط على الجليد فى عنف ، وراح يتدحرج فوقه فى قوة ، قبل أن يتوقّف جسده ، فاندفع (علاء) و(ريهام) نحوه ، والأول يهتف فى قلق :

ـ (شريف) .. أأنت بخير ؟!

كان (شريف) يلهث فى عنف ، حتى إنه عجز عن النطق بضع لحظات ، قبل أن يلوّح بيده فى تهالك ، مغمغمًا :

- لا فائدة .

قال (علاء) فى توتر :

- حاول أن تواصل قليلاً .

انطلقت من (شريف) ضحكة ساخرة مريرة ، وهو يقول :

- إلى متى ؟! وإلى أين ؟!

ثم هزّ رأسه ، مضيفًا بكل المرارة :

- حاول أن تواجه الحقيقة يا صديقى .. فرارنا من هؤلاء الأوغاد مستحيل ، وكل منا مصاب بعدد من الرصاصات .. إننا ثلاثة فحسب ، وهم جيش كامل .. نحن نعدو على سيقان مرهقة ، وهم

يستخدمون زحافات الانزلاق على الجليد ، والدراجات الآلية المجهزة .. هل تبدو لكما هذه مواجهة عادلة .

قال (علاء) :

- كلاّ ..

ثم استدرك فى حزم :

- ولكن تذكّر ما علمنا إياه أستاذنا .. مهما بدت الأمور معقّدة ، فلا يوجد مستحيل ! فالأمل يبزغ فجأة أحيانًا ، من وسط مستنقع اليأس .

زفر (شريف) ، مغمغمًا :

- لم أنس هذا أبدًا ، ولكن ..

صمت لحظة ، ثم أمسك كفيهما فى قوة ، قائلاً :

- بالنسبة لكما ، لا بد أن تواصلا المحاولة .. أنا الوحيد المصاب فى فخذى ، والذى لايمكنه مواصلة العدو ، أما أنتما ..

قاطعته (ريهام) فى صرامة :

ـ مستحيل !

وقال (علاء) فى حزم :

ـ سنمضى معًا ، حتى ولو اضطررت لحملك ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى بقعة ما خلف (شريف) ، الذى قال فى توتر :

ـ ماذا هناك ؟!

أشار (علاء) إلى مكعب أسمنتى ، اختفى كله تقريبًا ، تحت الجليد المتساقط ، وقال فى انفعال :

ـ إنه الطريق .. لقد وصلنا إلى الطريق الممهّد الرئيسى .

قالت (ريهام) فى دهشة :

ـ الطريق ؟! حقًا ؟!

قال (علاء) فى اهتمام بالغ :

ـ لقد تساقط عليه الجليد ، وأخفاه عن الأعين ، بحيث لم ننتبه إليه فى البداية .

تطلّع (شريف) إلى حيث ينظران ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة ساخرة مريرة ، وهو يقول :

ـ عظيم .. لقد وصلنا إلى الطريق .. بم يمكن أن يفيدنا هذا ؟! هل سنستقل الحافلة العامة ، للذهاب إلى (موسكو) ، والفرار من الجيش الذى يطاردنا بلا هوادة ، أم ..

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى فجأة انفجار من بعيد ، فهتفت (ريهام) :

ـ رباه ! الفخاخ .

ثم التفتت إليهما ، مستطردة :

ـ بعضهم وقع فى فخ متفجّر ، من تلك التى وضعتها عند الأشجار ، وهذا يعنى أنهم قريبون .. قريبون جدًا .

مع هتافها ، رفع (علاء) المنظار المقرِّب إلى عينيه ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ..

فعلى امتداد قوس ضخم ، يكاد يحيط بهم تقريبًا ، من الشرق والغرب والشمال والجنوب ، كانت فرقًا الدراجات والزحافات تتجه نحوهما بمنتهى السرعة والقوة ، لاكتمال الحصار ..

الحصار الدموى ..

القاتل .

* * *



٩ـ طريق الموت ..

« (بوريس) هذا أحمق بحق أيها الزعيم .. »

انبعث صوت (ميرا) بالعبارة ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، فى حجرة مكتب (إيفانوفيتش) الخاصة ، فانعقد حاجبا هذا الأخير فى غضب ، وهو يقول :

ـ الوقت لا يناسب الغيرة يا (ميرا) .

هتفت :

ـ الغيرة ؟! أية غيرة ؟! أنت تعرفنى جيِّدًا أيها الزعيم .. فى أمور العمل ، لا مجال عندى للمشاعر .. أية مشاعر .

مطَّ شفتيه فى ضيق ، قائلاً :

ـ ماذا تريدين بالضبط يا (ميرا) ؟!

أجابته فى سرعة :

- ليس من الحكمة أن نعهد لأحمق مثله ، بقيادة فريق المطاردة ، ضد ثعالب المخابرات المصرية الثلاثة .. صدقنى يا زعيمى . إنهم بارعون بحق ، ولديهم خبرات مدهشة ، على نحو لا يدركه (بوريس) ، ولا ..

قاطعها (إيفانوفيتش) بصرامة مباغتة :

- كفى يا (ميرا) .

صدمها أسلوبه الصارم الجاف ، فلاذت بالصمت فى حنق ، وهو يتابع بنفس اللهجة والأسلوب :

- (بوريس) رجل جيش سابق ، وله خبرات كبيرة ، فى (بولندا) و(المجر) و(البوسنة) ، والموقف يحتاج إلى شخص مثله ، لقمع هذا التمردُ المحدود .

غمغمت :

- المحدود ؟!

أجاب فى غلظة :

- نعم يا (ميرا) .. المحدود .

ثم مطّ شفتيه بضع لحظات فى صمت ساخط ، قبل أن يضيف :

- اتركى لـ (بوريس) مهمته ، التى لا يجيد سواها ، واحضرى فورًا إلى هنا ؛ لتتولى مهمة أخرى لا يوجد من يجيدها أفضل منك .

سألته فى حذر :

- وكيف يمكننى الحضور يا زعيم ؟! إننى لا أملك أية وسائل انتقال .

قال فى خشونة :

- اطلبى من (بوريس) أن يرسل إليك أحد

قائدى دراجات الجليد .. أريدك هنا بأقصى سرعة .

سألته فى قلق :

- ماذا هناك بالضبط ؟!

بدا صوته عصبيًا محنقًا ، وهو يقول :

- العملية (الإيطالية) تطورت كثيرًا ، ويبدو أن رجال دونا (كارولينا) يحتشدون ، وينتظرون تحسن الأحوال الجوية ، لينقضوا علينا هنا فى (موسكو) .

قالت فى اهتمام :

- ولكن هذا ما كنا نتوقعه بالضبط أيها الزعيم .

قال فى اقتضاب صارم :

- بالتأكيد .

ثم استدرك فى حزم :

- ولكن الأمور تحتاج إلى متابعة دقيقة ، ومراجعة لكل التفاصيل ، ولكل تحركات (دونا) ورجالها .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

- وهذه مهمتك .

قالت على الفور :

- سأصل بأسرع ما يمكننى .

أنهت الاتصال على الفور ، فتراجع (إيفانوفيتش) فى مقعده الكبير ، وراح ذهنه يراجع الموقف كله منذ البداية ..

من المستحيل أن يفعل به المصريون هذا ؟!

من المستحيل أن ينجحوا فى خداعه بهذه البساطة !

ياللسخافة !

لقد أحسنوا اللعبة إلى حد مدهش ، واختاروا عناصر جديدة بارعة ، تم انتقاؤها بدقة مذهلة ..

عناصر شابة ، تتصرف وتتعامل وكأنها تمتلك خيرات الدنيا كلها ..

وكم يشعر بالغضب والثورة ، كلما تذكرّ أنه قد ابتلع الطعم بالفعل ، وكان يمنحهم كل ثقته ورعايته ..

لولا وصول الدكتور (رأفت) ..

مصادفة عجيبة ، كان لها الفضل فى كشف أمرهم ..

مجرد مصادفة !!

ولولاها لنجحت خطتهم تمامًا ..

ولأوقعوا به ..

تضاعف الغضب ، وتصاعدت الثورة فى أعماقه ، حتى كادت تعصف بنفسه ، فى نفس اللحظة التى

ارتفع فيها صوت (بوريس) ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، وهو يهتف فى ظفر :

ـ عثرنا عليهم أيها الزعيم .. لقد أطلقت قواتنا كلها خلفهم .

هتف (إيفانوفيتش) ، وهو يضغط زر الاتصال :

ـ لا تسمح لهم بالفرار هذه المرة يا (بوريس) .

قال (بوريس) ، فى حماس وحشى :

ـ ليس أمامهم من سبيل أيها الزعيم .

انعقد حاجبا (إيفانوفيتش) ، وهو يقول :

ـ ولا تنس ما أمرتك به يا (بوريس) .

وازداد انعقاد حاجبيه ، مضيفًا بكل صرامة ووحشية الدنيا :

ـ لا أريد أحياء .

قال (بوريس) :

- ومن يرغب فى هذا أيها الزعيم ؟!

قالها رجل الحرب الروسى ، وأنهى الاتصال ، ثم نقل مؤشر الموجة ، وقال لقائدى الفريقين ، بصرامة مخيفة :

- اسحقوهم سحقًا .

وانطلق جيش (إيفانوفيتش) نحو الهدف .. بكل قوته ..

* * *

فجأة ظهرت تلك السيارة ..

سيارة من سيارات الدفع الرباعى القوية ، تألقت مصابيحها عند بداية الطريق ، وهى تنطلق نحوهم مباشرة ..

وبدهشة كبيرة ، تبادل أبطالنا الثلاثة نظرة صامتة ، قبل أن يندفع (علاء) إلى الطريق ،

ويرفع ذراعيه ، وهو يحمل مدفعه الآلى ، هاتفًا فى صرامة :

- قف .

أطلق هتافه بالإسبانية ، ولكن سائق السيارة لم يسمع الهتاف جيدًا ، وإن لمح معاطف الفراء المميزة ، والمدافع الآلية الحديثة ، فغمغم فى دهشة :

- إنهم بعض رجالنا .. عجبًا ! ماذا يفعلون هنا ؟!

قالها ، وهو يضغط فرامل السيارة فى حذر ، حتى لا تنزلق الإطارات على الجليد ، على الرغم من السلاسل المعدنية المحيطة بها(*) ..

(*) عندما ينهمر الجليد ، يحيط سائقو السيارات إطارات سياراتهم بسلاسل معدنية ، تنغرس فى الجليد ، فتمنع انزلاق السيارة على الأسطح الجليدية الملساء ، وإلا تصبح القيادة مستحيلة .

وقبل حتى أن يتوقف ، هتف (علاء) بـ(ريهام) ، وهو يندفع نحوها :

- عاونى (شريف) على النهوض .. أسرعى .

لم ينتبه السائق إلى طبيعة القادم ، إلا فى اللحظة الأخيرة ، فوثبت يده إلى مدفعه ، الموضوع على المقعد المجاور ، وهو يهتف :

- اللو ...

قبل أن يتمّ هتافه ، كان (علاء) قد فتح باب السيارة المجاور له ، ثم هوى على وجهه بكعب مدفعه ، بضربة كالقنبلة ، وأمسك ياقة معطفه بسرعة مدهشة ، ليجذبه إلى الخارج ، ويلقى به خارج السيارة فى عنف ..

ومن بعيد ، لمح (بوريس) ما يحدث ، فصاح عبر جهاز الاتصال المحدود :

- امنعوهم من الاستيلاء على سيارتنا .. أسرعوا .

كانت (ريهام) تدفع (شريف) نحو السيارة ، عندما انطلقت رصاصات الكل دفعة واحدة بلا هوادة ..

وصرخ (علاء) ، وهو يحتلّ مقعد القيادة :

- أسرعا بالله عليكما .

شعر (شريف) بالرصاصات ترتطم بالجليد ، على مسافة سنتميترات من جسده ، فدفع جسده إلى الأمام ، ووثب على المقعد الخلفى للسيارة ، فى نفس اللحظة التى قفزت فيها (ريهام) إلى المقعد الأمامى ، والرصاصات ترتطم بباب السيارة ، وصاحت فى انفعال :

- انطلق يا (علاء) .. انطلق .

ضغط (علاء) دوّاسة الوقود ، بكل ما يملك من قوة ..

وانطلقت السيارة ..

ومع انطلاقها ، اتسعت عينا (شريف) عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ أنت ؟!

استدارت (ريهام) بأقصى سرعتها إلى الخلف ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تحدق فى وجه الرجل ، الجالس على المقعد الخلفى ، والذى انكمش فى مقعده ، وقد امتقع وجهه بشدة ، وزاغت عيناه على نحو عجيب ..

الدكتور (رأفت كاظم) ..

أما (علاء) ، فقد ألقى نظرة على مرآة السيارة الداخلية ، وانعقد حاجباه فى شدة ، لهذه المصادفة العجيبة ، وقال فى غضب ، والرصاصات تنهمر على السيارة كالمطر :

ـ أليس من العجيب أن نلتقى مرتين ، بمصادفة بحتة يا دكتور (رأفت) ؟!

امتقع وجه الرجل أكثر ، وهو يقول :

ـ صدقنى يا (علاء) .. إننى ..

قاطعه (علاء) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ (شريف) .. صوب مدفعك إليه ..

رفع (شريف) فوهة مدفعه بحركة آلية ، وصوبها إلى الدكتور (رأفت) ، الذى ازداد انكماشه فى مقعده ، وهو يقول بصوت شاحب باهت :

ـ لا داعى لهذا .. إننى لا أفكر حتى فى المقاومة ..

تجاهل (علاء) عبارته تمامًا ، وهو ينطلق بالسيارة بأقصى سرعة ، وفرقة قائدى الدراجات الآلية الجليدية ، مع فرقة القوات المتزلجة تطارده فى شراسة ..

وراحت الرصاصات تنهمر على السيارة ..

وتنهمر ..

وتنهمر ..

وبكل الحزم والقوة ، راحت (ريهام) تجيب النيران بمثلها ..

وبدت المطاردة شرسة وعنيفة ..

للغاية ..

وعبر جهاز الاتصال المحدود ، هتف (بوريس) فى عصبية :

ـ سيِّد (إيفانوفيتش) .. المصريون استولوا على واحدة من سياراتنا المصفَّحة ، ذات الدفع الرباعى ..

انعقد حاجبا (إيفانوفيتش) بشدة ، وهو يهتف بكل الغضب :

ـ سيارات الدفع الرباعى المصفَّحة ؟!

ثم هبَّ من مقعده ، صائحًا :

ـ لا توجد سوى سيارة واحدة من سياراتنا ، تقطع هذا الطريق الآن .

وضرب قبضته اليمنى فى راحته اليسرى ، قائلاً فى حدة :

ـ السيارة التى تقلّ الدكتور (رأفت) .

هتف (بوريس) ، عبر جهاز الاتصال :

ـ نعم .. إنها سيارة (تروتسكى) ، وهى لاتتأثر برصاصات مدافعنا ، كما أن رجلنا بحوزتهم .

اشتعلت عينا (إيفانوفيتش) ، فى غضب هادر ، وهو يهتف :

ـ (رأفت) .. هل أسروه أيضًا ؟!

أجابه (بوريس) :

ـ لقد ألقوا (تروتسكى) فقط خارج السيارة .

احتقن وجـه (إيفانوفيتش) بغضب ثائر عنيف ، كانت الدماء تتفجر معه من عينيه ، وهو يصرخ :

ـ هؤلاء المصريون أفسدوا كل شيء .. كل شيء .

صاح به (بوريس) :

ـ ماذا نفعل أيها الزعيم ؟! إننا ننتظر أوامرك .

كانت كل ذرة فى كيان (إيفانوفيتش) تشتعل غضبًا ، حتى إنه لم يستطع النطق لبضع لحظات ، كرَّر (بوريس) خلالها :

ـ أوامرك أيها الزعيم .. هل نستخدم القنابل ، أم نعطى الأولوية للإبقاء على (رأفت) ؟!

عضّ (إيفانوفيتش) شفته السفلى ، بكل غضب الدنيا وانتقل احتقان وجهه إلى عينيه ، وهو يقول :

لو نجا المصريون ، لن تكون هناك فائدة للدكتور (رأفت) .. إننا لا ندرى حتى ما إذا كانوا قد أبلغوا أمره بوسيلة ما أم لا .

وزفر بعصبية شديدة ، مضيفًا :

ـ كلاَّ يا (بوريس) الأولوية الوحيدة للتخلُّص من هؤلاء المصريين .

وانعقد حاجباه على نحو شيطانى ثائر ، وهو يقول :

ـ اسحقوهم سحقًا .. جميعًا .

ولم يكد (بوريس) ينقل هذا الأمر لرجال الفريقين ، حتى بدأت مرحلة جديدة ..

توقف رجال (المافيا) الروسية عن إطلاق النيران ..

ونقلوا سباباتهم إلى الزناد الإضافى ..



ودوت الانفجارات خلف السيارة ، فضغط (علاء) دوّاسة وقودها أكثر ..

وأطلقوا القنابل ..

ودوت الانفجارات خلف السيارة ، فضغط (علاء) دوّاسة وقودها أكثر ، وراح ينطلق بها بأقصى سرعة تسمح بها محركاتها ، وهو يسيطر على عجلة قيادتها بقوة ومهارة مدهشتين ، على الرغم من الانفجارات العنيفة من حوله ، والتى تكاد تطيح به يمنة ويسارًا ..

وازداد انكماش الدكتور (رأفت) فى مقعده أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وفى غضب ، هتفت (ريهام) ، وهى تنتقل بدورها إلى الزناد الإضافى :

ـ فليكن .. العين بالعين .

أطلقت قنابل مدفعها بدورها ..

ورنّت المنطقة ، التى يغمرها الجليد ، دوى الانفجارات العنيفة ، وراح (علاء) ينطلق بكل سرعة السيارة ومهارتها ، وهو يهتف :

- رباه ! متى ينتهى هــذا .. طلقــة واحــدة صائبة ، وينتهى أمرنا تمامًا .

غمغم (شريف) ، فى توتر بالغ :

- لو لم تكن هذه الســيارة مصفّحــة ، لانتهى أمرنا بالفعل .

مع آخر كلمات عبارته ، انفجرت قنبلة ، على مسافة نصف متر فحسب من السيارة ، التى ارتجّت فى عنف ، ومالت إلى اليسار على نحو مخيف ، وتطايرت الشظايا لترتطم بها بصوت عنيف ، وشعرت (ريهام) بلفح النيران ، حتى إنهــا أفلتت مدفعها دون أن تدرى ، فى حين أمسك (علاء) مقود السيارة بقوة شديدة ، فى محاولة للسيطرة عليها ، و (شريف) يصرخ :

- يا إلهى ! يا إلهى !

وانزلقت السيارة على نحو رهيب مخيف ، على الرغم من السلاسل القوية ، التى تدعم إطاراتها ، وبدا لحظة وكأنها ستسقط على جانبها الأيسر فى عنف ..

ولكن مرة أخرى أثبت النقيب (علاء) أنه تلميذ نجيب لأستاذ عظيم ..

لـ (أدهم صبرى) ..

لقد شحن مشاعره وقوته كليهما فى قبضتيه وعينيه ، وأحكم سيطرته على السيارة بمهارة مدهشة ، حتى إنها عادت تميل إلى اليمين ، وهى تنزلق فى عنف ، حتى ارتطم الإطاران الآخران بالأرض ، فأمال (علاء) المقود فى سرعة ومهارة ، وعاد يضغط دوّاسة الوقود ..

وينطلق ..

وفى ذهول ، هتفت (ريهام) :

- رباه ! لقد فعلتها .

ثم ألقت نظرة عبر النافذة ، متسائلة فى حيرة قلقة :

- ولكن هؤلاء الأوغاد توقفوا فجأة ، وعدلوا عن مطاردتنا ، على الرغم من أن قنبلتهم الأخيرة كادت تطيح بنا بالفعل .

انعقد حاجبا (علاء) ، وهو يقول :

- أخشى ما أخشاه أن يعنى هذا أن ..

قبل أن يتم عبارته ، مال بالسيارة إلى اليمين ، مع استدارة الطريق ، و ...

وفجأة ، اتسعت عيناه عن آخرهما ..

وأطلقت (ريهام) شهقة قوية ..

فعلى مسافة ثلاثين مترًا منهم ، وعلى ارتفاع ثلاثة أمتار فحسب ، كانت هليوكوبتر (بوريس) تعترض طريقهم ..

ولقد ابتسم هذا الأخير فى سادية ووحشية ، فور رؤيتهم ، وتألقت عيناه بجذل شرس ، وهو يقول :

- وداعًا أيها المصريون .

ثم ضغط زرًا فى قمة عصا القيادة ..

وانطلق من الهليوكوبتر صاروخ اتجه نحو الهدف ..

نحو سيارة الدفع الرباعى المصفحة ، التى تضم أفراد الفريق والدكتور (رأفت) ..

مباشرة ..

ولقد كان الانفجار قويًا عنيفًا .. للغاية .

* * *

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع والأخير بإذن الله

(الأبطال)